الأسمطة السلطانية في العصر المملوكي(*)

أ. م. د /سعود محمد سعود العصفور
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ والآثار
كلية الآداب – جامعة الكويت

الملخص:

يلحظ الباحث كثرة الأسمطة السلطانية التي تقام في زمن المماليك لمناسبات عديدة، وهي تبرز دور المطبخ السلطاني المملوكي آنذاك وقدرته الفائقة في إعداد وتجهيز هذه الأسمطة، لذا فإن من المفيد أن نقف على الأسمطة السلطانية في مناسباتها تتبعاً وتفصيلاً.

نتناول الأسمطة السلطانية الاعتيادية اليومية، والأسمطة الخاصة التي تعقد في المناسبات بأنواعها، وهي كثيرة كتولي منصب السلطنة، وأسمطة لتأليف قلوب خصوم السلطان وكسب ودهم، وأسمطة يظهر فيها السلطان قوته أمام خصومه، وأسمطة يحتفل فيها بالنصر على أعدائه، وأسمطة تقام له في السفر، وأخرى لعودته منه، وأسمطة يكرم بها ضيوف السلطنة، وأخرى يكرم فيها من يقدم عليه من نوابه، وأسمطة يحتفل بها للانتهاء من تشييد العمائرالمختلفة وافتتاح المدارس وغيرها، وأسمطة لتعيين وتكريم المشايخ والمدرسين، وأسمطة خاصة بالسلطان وأهل بيته كأسمطة الولادة وما يتبعها من عقيقة وختان، وأسمطة الزواج، وأسمطة إبلال السلطان من المرض، وأسمطة العزاء على أقربائه والمقربين إليه، وأسمطة أخرى تقام في مناسبات خاصة له كالفوز في لعبة الكرة، وأسمطة تقام في النوازل وخاصة زمن الطاعون، وأسمطة تقام في المناسبات الدينية كيوم الهجرة النبوية، ويوم المولد النبوي، ويوم عيد الفطر. وسوف نقوم بتتبع ذلك حسب ما تجود به علينا مصادر ومراجع العصر المملوكي كأمثلة دالة، وهي تحكي لنا جانباً مهماً عن دور المطبخ السلطاني وتجهيزه لهذه الأسمطة السلطانية. والفترة الزمنية للبحث هي العصر المملوكي منذ بدايته إلى نهايته (٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠ م . ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م).

ونظن أن ما سنخرجه في هذا البحث يسلط الضوء على إحدى الجوانب المهمة في الحياتين الاقتصادية والاجتماعية في عصر المماليك، وهو يمثل بحثنا الثاني عن

(*) **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد (٨٣) العدد (٥) يوليه ٢٠٢٣.**

المطبخ السلطاني ودوره، فقد كان البحث الأول بعنوان " المشرفون والعاملون في المطبخ السلطاني المملوكي "، وسوف نقوم لاحقاً بإعداد بحث ثالث بعنوان " الأطعمة والأدوات المستخدمة في المطبخ المملوكي " لتكتمل الصورة عن المطبخ السلطاني بصورة وما يقوم به من دور لافت في حياة سلاطين المماليك، وحسبنا أن نضيف للمكتبة المملوكية موضوعاً جديداً تعالجه ثلاثة بحوث.

الكلمات المفتاحية: المماليك . الأسمطة السلطانية . المطبخ المملوكي . الطعام في عصر المماليك.

Abstract:

The researcher has noticed the huge number of banquets that the Sultan used to throw during Memluk times, coinciding with many occasions. This highlighted the role of the Memluk Sultan’s cooks in preparing these banquets. Therefore, it is beneficial to review, analyze and detail these banquets and the occasions on which they were thrown. The historical data collected on this topic will shed light on the daily Sultanic banquets and the ones that coincided with special occasions which were many and varied: such as on becoming a Sultan, banquets intended to soften the hearts of foes and win their trust, and banquets intended to show the Sultan’s strength to his adversaries. There were also banquets to celebrate victory over enemies, banquets in the Sultan’s honour before travelling and on coming back safely, banquets to honour guests of the Sultanate, and banquets to welcome the Sultan’s deputies when they visit him.There were also banquets to celebrate the completion of a building or new schools and other institutions, banquets to honour the appointment of respectable sheikhs and teachers, and banquets for the Sultan’s close family members such as welcoming new births, circumcision, marriage banquets and banquets celebrating the Sultan’s recovery from illness, mourning the loss of a close family member or winning a ball game. There were also banquets on the occasion of a national calamity such as the plague, banquets celebrating a religious occasion such as the Prophet’s Hijira or his birth date, Eid Alfitr banquet and so on.

أولاً: الأسمطة السلطانية الإعتيادية:

السماط: ما يُبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين عليه، ويطلق أحياناً على المائدة السلطانية، وكانت تمد طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء، ومنها ثلاثة، واحداً بعد واحد في ذاك الزمان، وهي أسمطة اعتيادية جرت العادة أن تكون يومية داخل القصر السلطاني المملوكي، وهي:

١ – الأول لا يأكل منه السلطان شيئاً، ويبدو أن الخوف من أن يدس فيه السم هو السبب في عدم أكل السلطان منه.

٢ – ثم يمد الثاني بعده يسمى الخاص، قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل، وهنا يستمر الاحتياط أو انتظار ما يطيب أكله لا حقاً.

٣ – ثم يمد الثالث بعده، ويسمى الطارئ ومنه مأكول السلطان، وفيه يطيب الأكل أماناً ولذة.

٤ . أما مساءً، فسماطان: الأول ثم الثاني ويسمى الخاص.

وفي كل هذه الأسمطة يؤكل ويفرق نوالات[١] ويسقها بعدها الأقسماء[٢] المعمولة من السكر، والأفاوية[٣] المطيبة بماء الورد المبردة. ومن عادة هذا السلطان أن يبيت قريب مبيته في كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق فيها أنواع من المطجنات والبوارد، والقطر، والقشطة، والجبن المقلي، والموز، والكيماخ[٤]، وأطباق فيها من الأقسماء، والماء المبرد لأرباب النوبة في السهر حوله ليتشاغلوا بالمأكول والمشروب عن النوم. والليل مقسوم بالنوبة بينهم على الساعات الرمل. فإذا انتهت نوبة نَبَّهت التي تليها، ثم ذهبت هي فنامت إلى الصبح؛ هكذا أبداً سفراً وحضراً. وتبيت في المبيت المصاحف الكريمة لقراءة من يقرأ منهم، ويبيت الشطرنج ليتشاغل به عن النوم[٥].

وأعظم أسمطة السلطان تكون بالإيوان الكبير[٦] أيام المواكب، فإذا خرج القضاة وسائر أرباب الأقلام[٧] من الخدمة مد السماط بالإيوان الكبير من أوله

إلى آخره بأنواع الأطعمة المنوعة الفاخرة. ويجلس السلطان على رأس الخوان[٨] والأمراء يمنة ويسرة على قدر مراتبهم في القرب من السلطان، فيأكلون أكلاً خفيفاً ثم يقومون، ويجلس من دونهم طائفة بعد طائفة، ثم يرفع الخوان. وأما في بقية الأيام فيمد الخوان في طرفي النهار لعامة الأمراء خلا البرانيين فإنه لا يحضره منهم إلا القليل النادر [٩].

ويلاحظ أن ختم الطعام عادة يكون بالحلو منه كالأقسماء وغيرها، وهو ما درج الناس عليه في الأزمنة الماضية والحاضرة.

وللوقوف على الكمية المطبوخة يومياً في الأسمطة السلطانية، يخبرنا المقريزي أنه في المحرم سنة ٨٢٦هـ/ ديسمبر ١٤٢٢م سأل الملك الأشرف برسباي عن مقدار ما يطبخ له في كل يوم بكرة وعشياً، فقيل له ستمائة رطل في الوجبتين، فأمر أن يطبخ في حضرته، لأنه بلغه أنه يؤخذ مما ذكر لشاد الشراب خاناه[١٠] ونحوه مائة وعشرون رطلاً، فجعل المعتاد من اللحم في كل يوم بزيادة أيام الخدمة، ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة أرطال عن وجبتي الغداء والعشاء، ومن الدجاج ستة وعشرين طائراً، ولعمل المأمونية[١١] رطلين ونصفاً من السكر، وما يعمل برسم الجمدارية[١٢] فإنه بعسل النحل[١٣].

ثانياً: أسمطة تولي منصب السلطنة:

جلوس السلطان على كرسي السلطنة المملوكية يصاحبه مد السماط للحاضرين في هذه المناسبة السعيدة، وسوف نعرض بعض الأمثلة الدالة عليه، ومنها ما حدث في سلطنة المنصور علي بن أيبك التركماني سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧م، فقد ركب بشعار السلطنة[١٤] في موكب مهيب وتوجه إلى قبة النصر، ثم عاد إلى القاهرة من باب النصر، حيث ترجل الأمراء ومشوا بين يديه، ثم صعد إلى القلعة وجلس بدار السلطنة، ومد السماط السلطاني للأمراء فأكلوا، ووزر وزير أبيه شرف الدين الفائزي، وانفض الموكب بعدها[١٥].

يلاحظ على هذه الحادثة ما يلي:

١- أن جلوس السلطان على كرسي السلطة حدث كبير، لذا كان الاحتفال على مستوى هذا الحدث، وخاصة أن الحضورهم كبار رجال السلطنة المملوكية.

٢- يصاحب هذا الاحتفال مد السماط السلطاني الحافل بأنواع الأطعمة، والمطبخ السلطاني هو من يتولى إعداد الطعام.

٣- جرت العادة في هذه المناسبة أن يقوم السلطان الجديد بتثبيت من هم على وظائفهم، أو تعيين آخرين بدلاً عنهم، وفي الحادثة إشارة إلى تعيين الوزير.

سماط الأشرف: قال العيني . وهو شاهد عيان . سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م: وأما سماط الأشرف ومأكله فكان من أفخر الأطعمة وأحسنها وأكثرها، قال: وقد خرجت مع والدي صحبة العسكر والسلطان لما خرجوا لقصد فتح قلعة الروم، وكان والدي مع جماعة من المقدمين منهم جمال الدين الطبردار[١٦]، وركن الدين الكلالي، وبدر الدين الجاكي، وكانوا كل يوم يرسلون إلى مطبخ السلطان عشرين درهماً فيأخذون بها أربع خوافق صينية ملآنة من الأطعمة المفتخرة بالقلوبات وغيرها، وكل خافقية[١٧] أكثر من خمسة عشر رطلاً من اللحم الهائل أو عشرة أطيار من الدجاج المسمن، وكذلك كثير من الجند والغلمان يشترون من مطابخ الأمراء من أنواع الأطعمة، وكانت الأجناد يتحدثون بكثرة الخيرات حتى أن الغلمان يأبون في غالب الأوقات أن يأكلوا من أطعمة أستاذيهم لكونهم يقرفون من كثرة الأكل وكثرة الأطعمة. قال: ورأيت في هذه السفرة أن أحداً من الأمراء لا يأكل من سماطه حتى يتفقد ما حوله من الغلمان والخدام والحاشية ومن المضافين إليه أو النازلين قريباً منه، فيرسل إليهم من الأكل والشرب والغنم والطيور والسكر والحلوى من الذهب والفضة كل أحد بقدر حاله، وكانوا يتفاخرون بذلك فيما بينهم[١٨].

ويستخلص من هذا الحديث ما يلي:

١ – أن الخروج للغزو والفتح له تجهيزاته من الطعام ما يكفي الجنود الذين سيبذلون قصارى جهدهم لتحقيق النصر، وهو أمر يجعلهم في حال قتالية ممتازة.

٢ – أن طعام المطبخ السلطاني كان من الوفرة بحيث يزيد عن حاجة الجند، وأن هذه الأطعمة الزائدة يمكن بيعها لمن يطلبها.

٣– أن العاملين في مطابخ الأمراء لهم نصيبهم من الأطعمة بسبب وفرتها.

٤ – أن الأمراء لا يبخلون على من تحتهم من الغلمان والخدم والحاشية، بل إن بعضهم يشاركهم الطعام ولا يأكل إلا بعد أن يتأكد أن الجميع قد أخذ كفايته منه.

٥– لم يقتصر أمر العناية فقط على المقربين من الأمير وحاشيته، بل يتعداه إلى من كان قريب المنزل والموضع، فإن الطعام يصل إليه على سبيل الوصل والمحبة.

سماط سلطنة الملك العادل كتبغا: عندما تولى كتبغا سلطنة الديار المصرية وتلقب بالعادل عمل سماطاً عظيماً جمع فيه الأمراء والمقدمين والجند، وأكلوا من هذا السماط السلطاني، وكان ذلك في شهر المحرم سنة ٦٩٤هـ / ديسمبر ١٢٩٤م، ولم تخبرنا المصادر المتاحة عن تفاصيل هذا السماط[١٩].

سماط سلطنة الملك المنصور: في شهر ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ / مارس ١٣٧٧ م قدم الخليفة وصعد إلى القلعة، ثم استدعى قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلي، ونواب القضاة والأمراء القائمين بأمر السلطنة إلى باب الستارة من القلعة، وأخرجوا السلطان الملك المنصور علي، فبايعه الخليفة، وبايعه الأمير أقتمر الحنبلي، ثم أفيضت عليه الخلعة الخليفتية، وهي فرجية[٢٠] حرير بنفسجي بطرازين ذهب، ودائرها من رأس كميها وعاتقيها وذيلها تركيبة ذهب، وتحتانية حرير أزرق خطائي، وألبس عمامة عربية من حرير أسود على قبع حرير أسود، وأرخي لها عذبة حرير مزركش، وركب من باب الستارة بأبهة

السلطنة إلى دار العدل[٢١]، وجلس على تخت الملك، وسرير السلطنة، ومد السماط بالإيوان، فأكل من حضر على العادة[٢٢].

ويستخلص من هذا الحدث ما يلي

١ . أن تنصيب السلطان المملوكي الجديد يتم بحضور الخليفة العباسي والقضاة الأربعة أو نوابهم وكبار الأمراء والأعيان.

٢ . البيعة للسلطان تكون أولاً من قبل الخليفة العباسي ثم بقية الحاضرين.

٣ . أن السلطان الجديد يلبس الخلعة العباسية المجهزة خصيصاً له في هذه المناسبة وقد وصفها المقريزي بتفاصيلها.

٤ . بعد إلباسه الخلعة بما فيها العمامة يتوجه إلى ديوان العدل، ثم يجلس على تخت الملك وسرير السلطنة ويصبح سلطاناً.

٥ . يمد السماط الحافل بالأطعمة في هذه المناسبة بالإيوان، فيأكل منه الحاضرون.

سماط سلطنة الملك الصالح: أقيم السلطان الملك الصالح صلاح زين الدين حاجي بن الملك الأشرف شعبان في السلطنة سنة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م، فحلف له الأمراء، وبايعه الخليفة، ثم أركب بشعار السلطنة، والأمراء في ركابه مشاة، حتى صعد الإيوان، فأجلس على تخت الملك، ولقب بالملك الصالح، ومد السماط السلطاني بين يديه[٢٣].

هذه الحادثة كسابقتها في تنظيمها وترتيب أحداثها باختصار كما أوردها المقريزي.

سماط السلطان في القاهرة بعد تسلطنه: وفي يوم السبت عشرين من شهر رجب سنة ٨٤٤هـ / نوفمبر ١٤٤٠م ركب السلطان الظاهر جقمق من القلعة ونزل بخليج الزعفران كعادة المؤيد شيخ والأشرف برسباي، ومدت أسمطة سلطانية جليلة بحسب الوقت. وحمل جماعة من المباشرين أنواعاً من الحلوى والفواكه وغيرها، ثم ركب بعد صلاة الظهر، ودخل من باب النصر، فشق

موكبه القاهرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة[٢٤].

ونستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ . للملك هيبة، وإظاهرها يعزز من شأنها، ويخلق راحة في نفوس الرعية، ومن مظاهر ذلك أن يتجول السلطان في أرجاء سلطنته المعروفة والمشهودة من الناس، وهذا ما فعل السلطان الظاهر جقمق هنا.

٢ . الأسمطة التي تمد تدل على كرم السلطان لأمرائه ومن ناسبهم، وكذا بقية الرعية، وتكون هذه الأسمطة متنوعة في الطعام والشراب.

نادرة: السلطان الظاهر يلباي كان بخيلاً حتى في سماطه:

ذكر المؤرخ ابن تغري بردي في ترجمته للسلطان الظاهر يلباي أنه لم يكن كعادة السلاطين الذين بأيديهم مقاليد الحكم والمال الوفير، قال: " يعرف بيلباي تلي أي المجنون، وكان عديم التجمل في ملبسه ومركبه ومماليكه وسماطه، مشهوراً بالبخل والشح "، ثم قال: " وبالجملة إنه كان رجلاً ساكناً غير أهل للسلطنة"[٢٥].

ثالثاً: أسمطة لتأليف قلوب خصوم السلطان وكسب ودهم:

سماط السلطان الناصر محمد بن قلاوون للأمير مهنا[٢٦]: مد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سماطاً عظيماً سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م للأمير مهنا أمير العرب بعد أن دخل في طاعته، فقد استعفى – أي مهنا – وأرسل إلى الناصر خاضعاً مذعناً لأمره وسلطانه قائلاً: " ما لي عادة آكل غير لبن الجمال والملة"[٢٧] وبقي في ضيافة الناصر أربعة أيام، ثم أكرمه بأرض دومة من أعمال دمشق تكون له ولأولاده من بعده[٢٨].

يستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ . حرص السلطان على استمالة أمراء القبائل الذين لهم السلطة والسمع والطاعة ممن ينتسب إليهم، لذا كانت هذه الحفاوة البالغة وهذا التكريم الكبير الذي ناله الأمير مهنا أمير العرب.

٢ . موائد أهل البادية وما يقدم فيها من طعام، تختلف عن تنوع مآكل ومشارب أهل الحاضرة، فقد أشار الأمير إليها بأنه اعتاد على شرب لبن الجمال والملة.

٣ . من جزيل إنعام السلطان على الأمير منها أن منحه أرض دومة لتكون له ولأولاده من بعده، لآن ما يهم أمراء البادية هو ما يكون تحت أيديهم من الأراضي التي تدل على ثرائهم وسطوة نفوذهم على أبناء قبائلهم.

سماط السلطان للأمراء المناصرين له: إن تأليف القلوب قبل الاشتباك مع عدو متربص له أهميته، وخاصة ممن لا يؤمن جانبهم، لذا اتفق السلطان الظاهر برقوق مع الأمراء في شهر صفر سنة ٧٩١ هـ / ديسمبر ١٣٨٨م على إرسال عسكر لقتال نائب حلب الأمير يلبغا الناصري الذي خرج عن طاعته، فحلف الأمراء كلهم للسلطان بالتزام طاعته، ثم ضربت خيمة كبيرة بالميدان تحت القلعة، وضرب بجانبها صواوين للأمراء، ونزل السلطان إلى الخيمة، وحلف الأمراء وسائر المماليك له بالطاعة، ثم مد لهم سماطاً جليلاً، فأكلوا وانفضوا[٢٩].

ويستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ . حرص السلطان على جمع الأمراء الكبار الذين يدينون له بالطاعة للوقوف إلى جواره وتحت إمرته لإخماد الفتنة التي أوقدها نائب حلب الأمير يلبغا الناصري.

٢ . حرص السلطان على أن يحلف له الأمراء يمين الطاعة أن يكونوا معه.

٣ . مد السماط للأمراء وأكلهم منه فيه الدليل على تطييب خواطرهم واسترضائهم وإشعارهم بالألفة والمحبة التي يحملها لهم.

سماط للأمراء الذين تصالحوا مع السلطان وأطاعوه: في شهر ذي الحجة سنة ٨١٣هـ / يونيو ١٤٣٠م، جمع السلطان الناصر فرج بن برقوق الأمراء: تغري بردي، وشيخ، ونوروز، ويشبك بن أزدمر، وقنباي المحمدي، وشرط على

الأميرين شيخ ونوروز ألا يخرجا إقطاعاً، ولا إمرة، ولا وظيفة لأحد من الناس إلا بمرسوم من السلطان، وأن يسلما قلعة الكرك إليه، وأن يسلم شيخ قلعة صهيون[٣٠] وصرخد[٣١] أيضاً، فرضوا بذلك جميعه، وحلفوا للسلطان على الوفاء له، والإقامة على طاعته وبادلهم السلطان ذات الحلف أيضاً، وخلع عليهم خلعاً جليلة، ومد لهم سماطاً أكل معهم منه[٣٢].

ويستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ . تأليفاً للقلوب، وحرصاً على الإنقياد للطاعة، ولعلو مكانتهم ورتبهم، وبعد حلفهم له على يمين الولاء له، مد السلطان الناصر فرج بن برقوق بهذه المناسبة سماطاً لهم، أكلوا منه وشاركهم فيه.

٢ . حرص السلطان على جزيل الإنعام على من أذعن له، وبسط يد الطاعة، فقد تم في هذا الحدث الإنعام على هؤلاء الأمراء بالخلع الجليلة تطييباً لخواطرهم ورفعة لشأنهم.

رابعاً: أسمطة لإظهار القوة أمام الخصوم:

سماط المؤيد شيخ بالشام أثناء فتنة الأمراء: خرج السلطان المؤيد شيخ المحمودي بنفسه يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ٨١٨ هـ / سبتمبر ١٤١٥ م إلى الشام طلباً للقضاء على الفساد والمفسدين الخارجين عن طاعته، وهما الأميران قانباي نائب الشام[٣٣]، والأمير طرباي[٣٤]، ثم نزوله في منزلة عكرشة[٣٥] حيث بات هناك ليلة السبت، فلما أصبح صلى الصبح، وأكل من السماط الذي عد له ولكبار الأمراء، ورحل وقلبه محبور ومسرور ومتيقن بأنه منصور[٣٦].

يستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ – أن السلطان قد يخرج بنفسه لقمع الخارجين عن طاعته عند استفحال خطرهم، وفي هذه الحادثة كان خروجه لقمع ثورة الأميرين قانباي نائب الشام، وطرباي، فقد استفحل أمرهما وألبا على السلطان الخصوم، لذا

تطلب الأمر خروجه بنفسه لإخماد ثورتهما.

٢ – بعد أن تمكن السلطان من تحقيق النصر على خصميه، تطلبت فرحة النصر إقامة مأدبة حافلة لمن شاركه النصر، وأكل معهم، وفي عظمتها وتنوعها يظهر مكانته وقوته أمامهم .

سماط الملك الظاهر إظهاراً لقوته أمام خصومه: يُذكر أن الأمير إينال العلائي الدوادار[٣٧] الكبير أتابكاً للعساكر[٣٨] بالديار المصرية بعد موت الأمير الكبير يشبك السودوني[٣٩] الدوادار المشد ولاه السلطان الظاهر جقمق الأتابكية في شهر شعبان سنة ٨٤٩ هـ / نوفمبر ١٤٤٥ م، فوقع بسبب توليته كلام كثير في الباطن لكون السلطان قدَّمه على الأمير تمراز أمير سلاح[٤٠]، وجرباش الكريمي أمير مجلس[٤١]، وقراخجا الحسني أمير آخور كبير[٤٢]، وهؤلاء الثلاثة من أكابر المماليك البرقوقية ووظائفهم أيضاً تقتضي الانتقال منها إلى الأتابكية بخلاف وظيفة الدوادارية التي تقل شأناً عنها[٤٣]، وبلغ السلطان ذلك، أو فطن به، فلما كان يوم السبت خامسه، نزل السلطان من قلعة الجبل إلى خليج الزعفران[٤٤]، وصحبته جميع الأمراء إلى مخيم ضرب له به، وجلس فيه وأكل من السماط الكبير الذي عد له، ودام هناك إلى قريب الظهر، ثم ركب وعاد إلى القلعة، وكان قصد الملك الظاهر بالنزول إلى خليج الزعفران في هذا اليوم استخفافاً بالقوم لأنهم أشاعوا أن جماعة تريد الخروج عن طاعته، فكأنه قال لهم بلسان حاله: " ها قد نزلت من القلعة بخليج الزعفران، من كان له غرض في شيء فليفعله "، فلم يتحرك للمعترضين ساكن وانقمع كل أحد[٤٥].

ويستنتج من هذا الحدث ما يلي:

١ . السلطان قوته في كبت كيد خصومه، وإظاهره قوته أمامهم، لأن ذلك مآله خوفهم من سطوته واحترام أوامره، وهذا ما قام به السلطان الظاهر جقمق إزاء خصومه الذين تمالؤا عليه سراً.

٢ . إظهار السلطان عدم اكتراثه بخصومه الذين يرقبون ما يفعله يزيد من هيبته في قلوبهم، وهذا ما فعله السلطان حين نزل من قلعة الجبل إلى خليج

الزعفران وصحبته جميع الأمراء كافة إلى المخيم الذي ضرب له وجلس غير آبه بخصومه يأكل من السماط الحافل الكبيرالذي مد له ولأمرائه الطائعين له.

٣ . السلطان المملوكي في سلطنته يحكم أمرها ولا ينقاد إليه إلا من أطاع أمره، فالتربية العسكرية للمماليك وسلاطينهم لا تعترف إلا بالقوي، ولا تعترف بالضعيف، وهذا ما نفهمه من هذه الحادثة.

خامساً: أسمطة الإحتفال بالنصر على الأعداء:

الاحتفال بالنصر على المغول: بعد انتصار السلطان الظاهر على المغول دخل في سابع عشر ذي القعدة سنة ٦٧٥ هـ / أبريل ١٢٧٧م إلى قيصرية[٤٦]، ونزل دار السلطنة، وجلس على التخت، وحضر عنده القضاة والفقهاء والصوفية والقراء، وجلسوا بحسب مراتبهم على عادة ملوك السلاجقة، فأقبل عليهم، وأصغى إليهم، ومد لهم السماط السلطاني الكبير ابتهاجاً بالنصر الذي تحقق، فأكلوا منه وانصرفوا[٤٧].

ونستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ . الانتصار على المغول ليس كالانتصار على غيرهم، نظراً لكون المعارك التي يخوضها المغول تكون الغلبة لهم، لذا فإن هذا الانتصار له أهميته ووقعه على مجريات الأحداث، وخاصة أن السلطان الظاهر دخل بعدها قيصرية هذه المدينة الخالدة.

٢ – شبه المؤرخ ابن شداد جلوس السلطان كجلوس ملوك السلاجقة العظام بعد الانتصار وفيه دلالة أكيدة على ما ذهبنا إليه من أهمية النصر الذي تحقق على المغول، وحضور كل من يعنيه أمره من القضاة والفقهاء والصوفية والقراء وغيرهم من كبار الأمراء والأعيان يؤكد شرعية ما فعله السلطان ويعلي من شأنه وشأن ما تحقق من نصر مؤزر.

٣ . تظهر الحادثة أن السلطان كان مستمعاً جيداً لمن أراد تسجيل موقف

بالإشادة أو النقد البناء لما فيه مصلحة البلاد والعباد.

٤ . أن مد السماط السلطاني الذي نظن عادة أن يكون حافلاً بأنواع الأطعمة، وأكلهم جميعاً منه، كان مسك الختام لذلك الاحتفال.

الاحتفال بالنصر على الفرنج:

دخل السلطان الأشرف شعبان الإسكندرية في رابع شهر جمادى الأولى سنة ٧٧٠هـ / ديسمبر ١٣٦٨م بعد أن أحرز جيش الأتابكي يلبغا نصراً على الفرنج، وقد تزينت له زينة عظيمة القدر، وسار الأمراء إليه من باب رشيد إلى باب البحر، فرمى بالمجانيق، ثم عاد من الباب الأخضر إلى دار السلطنة، وجلس على التخت بها، ومد السماط السلطاني، فأكل الأمراء ثم رفع(٤٨).

ويستخلص من هذا الخبر ما يلي:

١ . أهمية مدينة الإسكندرية بالنسبة لسلاطين المماليك كبيرة رغم بعدها الجغرافي آنذاك عن مركز الحكم، وخاصة أنها تقع قبالة البحر الأبيض المتوسط الذي يعد البحر الأهم للأساطيل البحرية التي تجوب مياهه، والسفن التجارية التي تحمل حاصلات الشرق إلى الغرب الأوروبي آنذاك، وخاصة رواج التجارة الكارمية فيما بعد.

٢ . أن الزينة العظيمة التي تزينت بها مدينة الإسكندرية كانت فرحاً بقدوم السلطان الأشرف شعبان وخاصة بعد أن مجيء خبر تحقيق الأسطول المملوكي بقيادة الأتابكي يلبغا نصراً مهماً على الجيش الفرنجي في شهر رمضان سنة ٧٦٩ هـ / أبريل ١٣٦٨م حيث غنم منهم مركباً، وقتل منهم جماعة وأسر آخرين، فسر السلطان والأمراء بهذا الخبر، ولما قدم يلبغا أخلع عليه السلطان وأنعم عليه بجميع ما غنم من الغنائم .

٣ . إطلاق المنجنيق فيه إشعار بإظهار القوة المبهجة أمام الرعية، ولترهيب الفرنج الذين شددوا الحصار على الإسكندرية آنذاك، ولأنه أنكى سلاح يستخدم في ذلك الوقت.

٤ . أن مد السماط السلطاني للأمراء وأكلهم منه فيه دلالة على أنهم في

طاعته وتحت إمرته فرحين بالانتصار الذي تحقق.

سادساً: أسمطة السفر:

سماط جلوس السلطان بدار العدل في دمشق: نودي يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ هـ / يوليو ١٢٩١ م بدمشق أن السلطان يجلس بدار العدل في غدٍ فمن كان له حاجة أو قصة، فليحضر، فجلس السلطان بحضور الوزير والقضاة، ومد السماط السلطاني بالميدان، وبعد ذلك لعب السلطان بالكرة[٤٩]

ويستخلص من ذلك ما يلي:

١ – أن السلطان يجلس بدار العدل ومعه أركان سلطنتة وعلى رأسهم الوزير والقضاة للنظر في مظالم الرعية لإحقاق حقوقهم ورفع ما يقع عليهم من ضرر، وهو أمر يحمد له.

٢ – يبدو أن أمر النظر في المظالم يطول، لذا يترتب عليه حاجة الجميع للراحة والطعام، لذا يمد سماط الطعام السلطاني الحافل بأنواع الأطعمة والأشربة.

٣ – أن لعب الكرة هي من ألعاب الفروسية التي يحرص سلاطين المماليك عليها.

سماط الصالح في السفر: يُذكر أن السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون لما سافر إلى دمشق قدم إليه هناك الأمراء ومنهم نائب حلب الأمير أرغون الكاملي في آخر يوم من شهر رمضان، وصلوا العيد معه، ثم مد لهم السماط السلطاني[٥٠].

ويتضح من هذا أن السلطان في سفره يكون سماطه السلطاني مهيئاً لاستقبال من يفد إليه.

جاهزية المطبخ السلطاني: خرج المطبخ السلطاني معية السلطان الناصر فرج بن برقوق في ثامن ذي الحجة سنة ٨١٤ هـ / مارس ١٤١٢م لقتال

الأميرين شيخ المحمودي نائب حلب، والأميرنوروز نائب طرابلس الخارجين عن طاعته، وقد ساق الرعيان من أجله ثمانية وعشرين ألف رأس من الغنم، وكثيراً من الأبقار والجواميس، تحلب ألبانها، وتقدم الحريم في سبع محفات [٥١] قد غشيت بالحرير، وبعضها مطرز بالذهب ومن ورائها نحو الثلاثين حملاً من المحاير[٥٢] المغشاة بالحرير والجوخ، فبلغت عدة الجمال إلى ثلاثة وعشرين ألف جمل، قال المقريزي " فكان شيئاً مستكثراً إلى الغاية"[٥٣].

يستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ – أن للسفر احتياجاته الآنية، وخاصة إذا كان بصحبة الركب نساء السلاطين، فالحرص دائماً على توفير الراحة التامة لهن.

٢ – أن مظاهر الترف والعظمة في رحلات السلاطين مع نسائهم واضحة في الدواب المخصصة وإعدادها لركوبهن بما يناسب المقام من فرش وثير ونسيج غالي الثمن من الحرير والجوخ.

٣ – تجلت في هذه الحادثة المبالغة التي دفعت المقريزي للقول: " فكان شيئاً مستكثراً للغاية ".

٤ . استفحال أمرالأميرين الخارجين عن طاعة السلطان وخوف السلطان من عصيان غيرهما حمله على الخروج بنفسه لإخماد الفتنة والقضاء عليهما.

سابعاً: أسمطة العودة من السفر:

سماط عودة السلطان إلى القاهرة: وصل السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون إلى القاهرة في شهر رمضان سنة ٧٥٣ هـ / أكتوبر ١٣٥٢م قادماً من الشام بعد أن قضى على الفتنة التي أوقدها الأمير بيبغا آروس ومعه جماعة كبيرة من الأمراء، فقبض عليهم السلطان وأمر بتوسيطهم[٥٤] وكان دخوله إلى القاهرة يوماً مشهوداً حافلاً، وفرشت الشقق الحرير تحت نعال مركوبه بعد أن خرج الناس للقائه، وأقيم له موكب حافل لم يتفق لأحد من إخوته في سلطنته، وحين صعد إلى القلعة تلقته أمه وجواريه

وإخوته، وقد فرش تحت فرسه شقق الأطلس، ونثرعليه الذهب والفضة، وأظهرت التهاني بمصر والقاهرة، ثم عمل المهم . الحفل . العظيم الحافل بالقلعة، وكان مهماً لم ير مثله، وعمل سماط هائل جداً يطول الشرح في وصفه، وأكل الأمراء، وخلع عليهم فيه، وتأنق الوزير الصاحب علم الدين ابن زنبور تأنقاً زائداً (٥٥).

ويستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١. القاهرة مركز سلاطين المماليك آنذلك، وسفر السلطان لأي جهة تابعة للسلطنة لمهمة حربية أو سلمية، ثم عزمه على العودة يتحتم الأمر أن تزين له القاهرة، وأن يخرج الناس للقائه والفرح به، ويكون هذا اليوم من الأيام المشهودة.

٢- أن أهل مصر أحبوا السلطان صلاح الدين الذي كان حازماً مع خصومه، واستطاع القضاء عليهم، وأخمد الفتنة التي أوقدها بيبغا أروس ومن كان معه من كبار الأمراء.

٣ . أن السماط الذي مد كان كبيراً يتناسب مع فرحة السلطان بالنصر على أعدائه وفرحة الناس به.

٤ . لم يبخل السلطان الصالح على من ناصره وشاركه القضاء على خصومه، فخلع على المناصرين له من الأمراء الخلع الجزيلة وفي مقدمتهم وزيره علم الدين ابن زنبور.

سماط قدوم السلطان المؤيد شيخ: في شهر شوال سنة ٨٢٠ هـ / نوفمبر ١٤١٧م زينت القاهرة لقدوم السلطان المؤيد شيخ من غزة، وأشعلت حوانيتها الشموع والقناديل، وقعدت المغاني صفوفاً على الدكاكين تدق بالدفوف، ولما نزل بجامعه مدَّ له الأستادار فخر الدين عبدالغني بن أبي الفرج سماطاً عظيماً به، فأكل السلطان هو وعساكره، ثم ركب من باب زويلة بتلك الهيئة المذكورة، وسار إلى أن طلع إلى قلعة الجبل من باب السر راكباً بشعار الملك حتى دخل

من باب الستارة وهو على فرسه إلى قاعة العواميد [٥٦] من الدور السلطانية، فنزل عن فرسه بحافة الإيوان، وقد تلقاه حرمه بالتهاني والزعفران، فكان قدومه يوماً مشهوداً لم يسمع بمثله إلا نادراً[٥٧].

ويستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ . القاهرة تتزين لقدوم السلطان بحوانيتها وشوارعها، والمغاني تعزف بأصواتها وألحانها وتراديدها ابتهاجاً لقدوم السلطان، وهذ أمر جرت عليه العادة في السلطنة المملوكية.

٢ . قدوم السلطان من السفر ورجوعه بالسلامة حدث كبير يتبارى الأمراء بإظهار فرحهم به، ومن ذلك قيام الأستادار فخر الدين عبد الغني بمد السماط الكبير الذي يليق بهذه المناسبة الجليلة.

٣ . أن قدوم السلطان فرحة للجميع، وخاصة لأهل بيته الذين استقبلوه بالترحاب والتهاني والزعفران.

ثامناً: أسمطة لإكرام ضيوف السلطنة:

سماط السلطان الظاهر لابن أويس صاحب بغداد: في يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول سنة ٧٩٦ هـ / ديسمبر ١٣٩٣ م حضر إلى الأبواب الشريفة القان أحمد بن أويس صاحب بغداد، فخرج إليه السلطان الظاهر برقوق في الريدانية[٥٨]، ثم أنزله بيت الامير طقزدمر المطل على بركة الفيل[٥٩]

بعد أن عمره وفرشه له، وأمر سائر الأمراء أن ينزلوا في خدمته، ومد له السماط السلطاني، وأرسل له مائة ألف درهم، ومائتي قطعة قماش مقترح وسكندري وغير ذلك من الأصناف، وثلاثة رؤوس خيل بقماش ذهب ومماليك وجواري[٦٠].

ويستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ – علو مكانة القان أحمد بن أويس عند السلطان الظاهر برقوق، فقد خرج لاستقباله بنفسه في الريدانية.

٢ – أن الأمراء كانوا يمتلكون بيوتاً فارهة تصلح لاستضافة كبارالقوم، ومن أولئك الأمراء طقزدمر الذي كان بيته يقع في مكان مميز، فقد كان يطل على بركة الفيل.

٣ – زيادة إكرام السلطان لأحمد بن أويس، فقد كلف جميع الأمراء أن يكونوا في خدمته، ومد له سماطاً يليق بمكانته، وأجزل له العطاء في المال والهبات والمتاع والخيل، بل منحه المماليك والجواري.

أسمطة السلطان قانصوه الغوري لأمير مكة: في يوم السبت العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩٢١ هـ / أبريل ١٥١٥م دخل السلطان الأشرف قانصوه الغوري بستانه، وأطلق ماء البحرة ونثر فيها الورد والياسمين، وفرش حولها الفرش الفاخرة، وعلق القناديل حتى أضاء البستان، ثم أرسل يدعو ضيفه أمير مكة الشريف بركات الذي بات عنده تلك الليلة، ومد له أسمطة حافلة وطواري فاخرة ما بين حلوى وفاكهة وغير ذلك، ثم أحضر مغاني البلد، فكانت ليلة من الليالي الملوكية[٦١].

في الحادثة ما يشير إلى حرص سلاطين المماليك على إكرام أمراء مكة المتولين أمرها، لأن ذلك يعطي سلاطين المماليك شرعية قيادة العالم الإسلامي آنذاك، وأوضح دليل على ذلك هو عنايتهم بالكعبة المشرفة عناية فائقة، وحرصهم على كسوتها السنوية، وأن ذلك أضحى مظهراً سيادياً لا ينازعون فيه.

تاسعاً: أسمطة لإكرام نواب السلطنة:

سماط الظاهر لإكرام صاحب حماة: وصل صاحب حماة الملك المنصور ومن معه إلى القاهرة يوم الأحد سادس عشر من المحرم سنة ٦٧٣ هـ / يوليو ١٢٧٤م ونزلوا بالكبش، وبعث إليه السلطان الظاهر بيبرس السماط السلطاني بكماله صحبة الفارقاني أستاذ الدار، فوقف في وسطه لما مد، فلم يتركه الملك المنصور وسأله حتى جلس، ثم وصلت الخلع وغيرها، وبالغ السلطان في إكرامه واحترامه، ثم وصلت إليه من الخلع والمواهب ما لم ينهض بعبئه شكره،

ولا يقوم لسانه بنشر ذكره، وأباح له ما لم يبحه لأحد من خواصه، من شرب الخمر، وسماع المغنى وسائر الملاذ(٦٢).

ويستخلص من هذا الحدث ما يلي:

١ – أن لنائب مدينة حماة الملك المنصور مكانته الكبيرة عند سلاطين المماليك، بديل مبالغة السلطان الظاهر بيبرس في إكرامه واحترامه.

٢ – حرص السلطان على كرم الضيافة، فقد بعث إلى نائب حماة سماطاً سلطانياً كاملاً حافلاً بالمأكولات، وأوكل مهمة إيصاله على هذا الوجه للأمير الفارقاني أستاذ الدار.

٣ . بالغ السلطان بإكرامه، فبعث له سماطاً بمعية الأمير شمس الدين الفارقاني أستاذ الدار، فضلاً عن الخلع الجليلة التي خلع بها عليه، وزيادة في إسعاده أباح له شرب الخمر وسماع المغاني وغيرها من الملذات.

٤ . دماثة خلق نائب حماة، فقد أصر أن يشاركه الأمير الفارقاني في الأكل.

سماط السلطان الظاهر برقوق لنائبه في الشام: أقام السلطان الظاهر برقوق لنائبه في الشام الأمير تنم الحسني حفلاً كبيراً، فقد كان يحبه كثيراً، خرج إلى لقائه بنفسه عندما جاء إلى القاهرة، وذهب إلى الريدانية في صفر سنة ٧٩٩ هـ / أكتوبر ١٣٩٦م، وبعث إليه السماط السلطاني الجليل والنفقات وغير ذلك(٦٣).

في هذه الحادثة ما يشير إلى أهمية الشام التي تأتي مباشرة بعد مصر، لذا فإن نائبها له المكانة الكبيرة في نفوس سلاطين المماليك، وغالباً تكون العلاقة تبعية لا تشوبها شائبة، ومن هنا نستشعر محبة السلطان الظاهر برقوق لنائبه في الشام الأمير تنم الحسني، فقد نال محبته بحيث إنه خرج إلى لقائه وانتظر قدومه، ولم يكتف بذلك بل جهز له سماطاً سلطانياً حافلاً بالمطعومات يتناسب وقدره عنده.

سماط الأشرف برسباي لتكريم نائب حلب: في يوم الخميس السادس

والعشرين من ربيع الآخر سنة ٨٢٦ هـ / مارس ١٤٢٣ م قدم إلى القاهرة الأمير البجاسي نائب حلب ونزل في بيت الأمير نوروز في الرميلة وكان السلطان الأشرف برسباي قد جهز الأمراء لملاقاته وتعظيمه وبالغ في ذلك وأرسل إليه أمير أستادار الصحبة بالمطابخ وغير ذلك من أنواع الحلاوات والسكر، وأقام في القاهرة إلى أن سافر يوم الخميس الثالث من جمادى الأولى مستمراً على نيابته [٦٤].

ويستخلص من هذا الجدث ما يلي:

١ – أن مكانة الأمير البجاسي نائب حلب ونصير السلطان الأشرف برسباي استوجبت الاحتفاء به على غيرعادة.

٢ – أمر السلطان بخروج من يستقبل البجاسي من الأمراء الكبار كأستادار الصحبة تلك التي يتحدث صاحبها في جميع أنحاء السلطنة في مصر والشام ويكتب المراسيم التي يعلم عليها السلطان فيه دلالة على جلالة قدره[٦٥].

٣ – أن السماط الذي مد بمناسبة قدوم الأمير البجاسي كان حافلاً بالمطعومات المميزة سيما الحلويات والسكاكر.

عاشراً: أسمطة بمناسبة الانتهاء من تشييد العمائر:

سماط السلطان الانتهاء عمارة القصر الأبلق: في سنة ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م كان الفراغ من عمارة القصر الأبلق بقلعة الجبل، واكتملت عمارته في مدة عشرة أشهر، فلما فرغ طرقه السلطان وعمل به وليمة عظيمة، ومد السماطات، واجتمع الأمراء الأكابر والأصاغر والمقدمين، وأكلوا وشربوا القمز[٦٦]، وأخلع على الجميع، وكانت عدة الخلع في ذلك اليوم ألفي وخمسمائة خلعة، وفرق مائة ألف دينار[٦٧].

ويستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ – القصور لها عناية خاصة، لذا فإن عمارتها قد تستغرق وقتاً طويلاً نظراً

لدقة البناء وحاجته إلى الزخرفة ووضع كل ما يليق بالسلاطين من مكانة وراحة، وإنجاز هذا القصر في هذه المدة القصيرة في منظور عصرنا إنجاز يسجل لمن قام ببنائه.

٢ – بعد انتهاء البناء لا بد من إقامة احتفال يمد فيه السماط السلطاني الحافل بالمطعومات، يشارك فيه بالحضور والأكل كبار الأمراء وصغارهم، وأن شراب القمز يكون حاضراً بهذه المناسبة.

٣– جرت العادة أن يكرم السلطان وفادة من يحضر من الأمراء بالمال والخلع التي تناسب مقامهم ويخبرنا المؤرخ ابن دقماق أنها كانت كثيرة.

سماط الناصر احتفاء بتعمير بيت للأمير يلبغا: في شهر ذي القعدة سنة ٧٣٨هـ / مايو ١٣٣٨م عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بيتاً واسطبلاً بسوق الخيل للأمير يلبغا لحبه الشديد له، وغرم عليه مالاً جزيلاً، ولما فرغ الاسطبل مدَّ السلطان فيه سماطاً عظيماً، وأنعم على الأمراء بالتشاريف[٦٨] والخيول، وكان الفراغ منه في ربيع الآخر سنة ٧٤١ هـ / سبتمبر ١٣٤٠م، ولما مرض السلطان مرضَه الذي مات فيه كان يلبغا وملكتمر يمرضانه [٦٩].

يستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ . عناية سلاطين المماليك بالخيل والفروسية، وقد تمثل في بناء السلطان الناصر لهذا الاسطبل.

٢ . أن قصور سلاطين المماليك عادة يلحق بها اسطبلها الخاص، ليكون قريباً، مجهزاً لخدمتهم في خروجهم لمواكبهم.

٣ . محبة السلطان للأمير يلبغا ألزمه أن يبني بيتاً له وأن يمد السماط السلطاني اللائق بهذه المناسبة، يحضره كبار الأمراء.

٤– لما كان الأمر متعلقاً بإنشاء الاسطبل السلطاني، كانت الإنعامات للأمراء تتلاءم مع هذه المناسبة، فقد أنعم السلطان على الأمراء بالخيول والتشاريف.

٥ . قيام الأمير يلبغا بالعناية بالسلطان الناصر أثناء مرضه وملازمته دليل محبة ووفاء من الأمير لسيده.

أسمطة في عمل الحفير: في أول شهر ربيع الآخر سنة ٨١٨ هـ / يونيو ١٤١٥م ركب السلطان الملك المؤيد من قلعة الجبل في أمرائه وسائر خواصه وسار حيث شرع بعمل السد بين الجامع الجديد الناصري وبين جزيرة الروضة، فنزل في خيمة نصبت له بين الروضة(٧٠) ومصر، ونودي بخروج الناس للعمل في الحفير المطلوب وكتبت وأذاعت هذا الخبر حوانيت الأسواق وشارك الجميع في العمل، فخرج الناس طوائف طوائف مع كل طائفة الطبول والزمور، وأقبلوا إلى العمل، ونقلوا التراب والرمل من غير أن يكلف أحد منهم فوق طاقته، ثم أمر السلطان جميع العساكر من الأمراء والخاصكية(٧١) وجميع أرباب الدولة وأتباعهم أن يعملوا، ثم ركب السلطان بعد عصر ذلك اليوم ووقف حتى فرض على كل من الأمراء حفر قطعة عينها له، ثم عاد إلى القلعة بعد أن مدَّ هناك أسمطة جليلة وحلويات وفواكه كثيرة، واستمر العمل والنداء في كل يوم لأهل الأسواق وغيرهم للعمل في الحفر(٧٢).

ويستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ . أشرف السلطان بنفسه على تنفيذ مشروع حيوي هو إقامة سد بين الجامع الجديد الناصري وبين جزيرة الروضة لما فيه من مصلحة متحققة، ولضمان إنجاز العمل على نحو متقن وبسرعة فائقة.

٢ . مشاركة الجميع في هذا المشروع دليل على أهميته، فقد شارك فيه الأمراء والخاصكية وجميع أرباب الدولة، فضلاً عمن كان في الأسواق من الباعة والصناع وغيرهم.

حادي عشر: أسمطة افتتاح المدارس:

سماط اكتمال مدرسة الناصر حسن: نزل السلطان الناصر حسن سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٦ م من القلعة، وصلى بها صلاة الجمعة واجتمع فيها بقضاة

المذاهب الأربعة، وسائر الأمراء المقدمين، وهم بالشاش والقماش، وملئت الفسقية التي بصحن المدرسة، سكراً بماء الليمون، ووقف عليها جماعة من السقاة، يفرقون السكر على الناس بالطاسات(٧٣).

ويستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ . حرص سلاطين المماليك على العناية بالعلم والتعليم، وقد تمثل هنا بإنشاء السلطان الناصر حسن هذه المدرسة.

٢ . أن الاحتفال باكتمال إنشاء المدرسة عادة يشارك فيه كبار الأعيان، ومن بينهم القضاة الأربعة لتكريس شرعيتها ومكانتها في نفوس الناس، فضلاً عن مشاركة كبار الأمراء من المقدمين وهم في أبهى حللهم هي دالة على سعادة الجميع بهذا الإنجاز.

٣ . جرت العادة في مثل هذه المناسبة أن يمد السماط الذي يحتوي على مختلف المطعومات . فضلاً عن أن تملئ الفسقية الواقعة في الصحن سكراً بماء الليمون وأن يسقى الجميع منها، وكأن المقام مقام احتفال بعرس يقام.

سماط احتفال افتتاح المدرسة الظاهرية: في سنة ٧٨٨ هـ / ١٣٨٦ م كملت المدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وجاءت في غاية الحسن والبناء، وفرشت في ثالث شهر رجب، ونزل السلطان الملك الظاهر إليها، ومد بها سماطاً عظيماً، وملأ الفسقية بالسكر والليمون، وقرر بها المدرسين والطلبة، وولى مشيختها الشيخ علاء الدين الصيرامي. وأخلع خلعاً كثيرة، ورتب أحوالها(٧٤).

ويستنتج من هذه المناسبة ما يلي:

١- عناية سلاطين المماليك بالعلم والعلماء، وخاصة أن هذه المدرسة بناها الملك الظاهر ونسبت إليه.

٢. أن تعيين المدرسين والمشيخة يتم بواسطة السلطان، وهذا الأمر يرفع من مكانتهم وقدرهم.

٣- مشاركة السلطان في الاحتفال والأكل من السماط الذي أعد بهذه المناسبة يجعل لهذه المدرسة ومن ينتسب إليها مكانة خاصة وتشريفاً.

ثاني عشر: تكريم وتعيين المشايخ والمدرسين ونحوهم:

أسمطة السلطان لتكريم مشايخ الصوفية : في رابع عشر من شهر ذي الحجة سنة ٨١٨ هـ / فبراير ١٤١٦م نزل السلطان الملك المؤيد على السماسم [٧٥] شمالي خانقاه سرياقوس[٧٦]، وركب في الليلة المذكورة إلى أن نزل بها، وعمل مجتمعاً بالقراء والصوفية، جمع فيه نحو عشر جوق من أعيان القراء، وعدة من المنشدين أصحاب الأصوات الشجية، ومدَّ لهم أسمطة جليلة، ثم بعد فراغ القراء والمنشدين أقيم السماع في طول الليل، ورقصت أكابر الفقراء الظرفاء وجماعة من أعيان ندمائه بين يديه الليل كله نوبة دون نوم، وهو جالس معهم كأحدهم، هذا وأنواع الأطعمة والحلاوات تمد شيئاً بعد شيء بكثرة، والسقاة تطوف على الحاضرين بالمشروب من السكر المذاب، فكانت ليلة تعد من الليالي الملوكية لم يعمل بعدها مثلها[٧٧].

ويستخلص من هذه المناسبة ما يلي:

١ . اهتمام سلاطين المماليك بالعلماء على مختلف طوائفهم وعقائدهم، ومنهم رجال الطرق الصوفية، ومن ذلك ما قام به السلطان المؤيد شيخ بالاجتماع بهم في هذ الخانقاه.

٢ . مشاركة السلطان المؤيد شيخ للصوفية في الاجتماع والسماع لقرائهم ومنشديهم طوال الليل، وجلوسه معهم كواحد منهم دليل على إقراره بجميل عملهم وتقديره له.

٣ . مد الأسمطة في هذا الاجتماع كان مناسباً لمن حضر، وخاصة أن السماع طال إلى وقت متأخر من الليل.

سماط تعيين قاضي القضاة على مشيخة الصوفية وتدريس الحنفية: في يوم الجمعة حادي عشرين من شهر شوال سنة ٨٢٢ هـ / أكتوبر ١٤١٩م نزل

السلطان إلى جامعه، وقد هيئت له المطاعم والمشارب، فمد سماطاً عظيماً، وملئت البركة التي بصحنه سكراً قد أذيب بالماء، وأحضرت الحلاوات لإجلاس قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفي على سجادة مشيخة الصوفية، وتدريس الحنفية، وخطابة القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي كاتب السر، فعرض السلطان الفقهاء، وقرر منهم عند المدرسين السبعة من اختار، ثم أكل على السماط ما لذ وطاب، وتناهبه الناس، وشربوا السكر المذاب، وأكلوا الحلوى والأرطاب، ثم استدعى الديري وألبس خلعة واستقر في المشيخة وتدريس الحنفية. وجلس بالمحراب والسلطان وولده عن يساره، والقضاة عن يمينه، ويليهم مشايخ العلم وأمراء الدولة، فألقى درساً تجاذب فيه أهل العلم أذيال المناظرة، حتى قرب وقت الصلاة، ثم انفضوا. فلما حان وقت الصلاة صعد ابن البارزي المنبر وخطب خطبة من إنشائه بلغ فيها الغاية من البلاغة، ثم نزل فصلى. فلما انقضت الصلاة خلع عليه واستقر في الخطابة وخزانة الكتب، ثم ركب السلطان، وعدى النيل إلى الجيزة[٧٨].

ويستخلص من هذا الحدث ما يلي:

١ – حرص السلطان على تقريب العلماء وتنصيبهم بنفسه، وهو أمر يوجب محبتهم وولاءهم له.

٢ – أن التنصيب يعطى هالة ليكون معلوماً من الجميع أنه منحة السلطان واختياره وتشريفه لمن ينصبه، لذا كان الحرص على دعوة كبار الفقهاء والقضاة والأمراء للمشاركة في هذا الحدث أمراً متوافقاً مع هذه الغاية.

٣ – أن الاحتفاء بالتنصيب عادة يصاحبه إقامة سماط فيه مختلف المطعومات والمشروبات التي تليق بمقام السلطان أولاً، ثم بمقام الحضور ثانياً.

٤– من توابع التنصيب أن يلقي من تقلده درساً يستعرض فيه مهارته واستحقاقه له، ومن ذلك أيضاً مناظرة أقرانه من العلماء.

ثالث عشر: أسمطة خاصة متعلقة بالسلطان وأهل بيته وأقربائه، منها:

. أسمطة الولادة وما يتبعها: هي أسمطة متعلقة بمن يولد للسلطان من الأبناء والبنات، وما يتبعهم من احتفال وابتهاج بالولادة، والعقيقة، ثم الختان الذي يكون عادة للذكور، منها:

أسمطة مولود للسلطان الناصر: ابتهج السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنه ولد له ولد من زوجته أردكين ابنة الأمير نوكاي بن قطغان المغولية، كان ذلك في سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م، سماه علي، ولقبه علاء الدين، ثم لقب بعد ذلك بالملك المنصور، وأقام له احتفالاً بهيجاً، وأظن أنه مد فيه الأسمطة السلطانية الكثيرة التي حفلت بأنواع المطعومات والأشربة، والدليل أنه بالغ في فرحه بالمولود حيث إنه أراد أن تغني له المغاني سبعة أيام، لكن الأمراء أثنوه عن ذلك[٧٩].

ويستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ . يبدو أن المبالغة في الاحتفال بهذا الولد أن السلطان الناصر أراد أن ينزل هذه الأميرة المغولية منزلة رفيعة لعلو منزلة أبيها الذي جاد بها عليه.

٢ . أن المبالغة أوحت للسلطان بأن يستمر الاحتفال سبعة أيام، لكن الأمراء أثنوه عن ذلك، ويبدو أنهم خافوا عليه من تقليل شأنه أمام الناس، وأمام أبيها.

٣- يظن أن الأسمطة السلطانية التي مدت كانت كبيرة ومتنوعة تناسب فرحة السلطان بمولوده.

أسمطة مولود ابنة السلطان الذي توفي: في جمادى الآخر سنة ٧٥٦ هـ / يوليو ١٣٥٥م ولد للأمير شيخو ولداً ذكراً من زوجته إبنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وأخت السلطان حسن، فسر به، واحتفل له احتفالاً زائداً، مد فيه الأسمطة، سيما في عقيقته، فمات بعد أيام، فحزن عليه الناصر حزناً شديداً

عليه كحزن والديه، فلم يتهن الوالد ولا الوالدة ولا المولود[٨٠].

ويستنتج من هذه الحادثة ما يلي:

١ . قرب الأمير شيخو من السلطان باعتباره زوجاً لابنته جعله يتفاعل مع المناسبة وصار الحفل كبيراً.

٢ . الأسمطة التي أقيمت لهذا الحفل نظنها حافلة بأنواع المطعومات المشروبات التي تناسب أهمية المناسبة.

٣ . أن الحزن على موت المولود كان مشتركاً بين السلطان وابنته والأمير شيخو.

أسمطة ختان ولدي السلطان: في شهر المحرم سنة ٧٧٧ هـ / يونيو ١٣٧٥م ابتدأ السلطان الأشرف شعبان بمهم . حفل . ختان ولديه: أمير علي، وأمير حاج وكان مهماً حافلاً دام سبعة أيام ليلاً ونهاراً، قال ابن حجر: " أنفق فيه من الأموال ما لا يحصى، وظهرت فيه من الفواحش والقبائح ما لا مزيد عليه "، وزاد ابن إياس: " عملت الأفراح بالقلعة مدة سبعة أيام وكان لهما من المهمات العظيمة ما يغني عن شرحها من أسمطة ومدات، ودخل على السلطان من التقادم . الهدايا . لا يحصى"[٨١].

اتفق المؤرخون أن ما قام به السلطان الأشرف من مباهج الاحتفال وكثرة الأسمطة التي مدت فيها مبالغة كبيرة لا تليق بمقام السلطنة.

سماط عقيقة ولد السلطان المؤيد: أقام السلطان المؤيد شيخ سماطاً كبيراً بمناسبة عقيقة ولده محمد في الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ٨٢١ هـ / أغسطس ١٤١٨م، ثم خلع على الأمراء خلعاً جليلة، وأنفق على مصروف هذه المناسبة أكثر من خمسة عشر ألف دينار[٨٢].

ويبدو أن المطبخ السلطاني قام بإعداد قائمة متنوعة من الطعام، وأن الهدايا التي أتحف الأمراء بها السلطان كانت كثيرة، والخلع التي أنعم بها عليهم وعلى من حضر هذه المناسبة كانت كبيرة، وكان في إقامته وإظهاره مبالغة في

تكاليفه.

أسمطة ختان ولد السلطان الأشرف قايتباي ومعه أربعين ولداً: في شهر رجب سنة ٨٩٥ هـ / مايو ١٤٩٠ م كان ختان ولد السلطان الأشرف قايتباي، وكان عمره نحواً من سبع سنين وأشهر، وكان المهم ـ الحفل ـ بالقلعة سبعة أيام متوالية، وكان من نوادر المهمات، فاجتمع سائر مغاني البلد، وأمر السلطان بأن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة، حتى إنهم زينوا داخل الأسواق مثل سوق الشرب، والجوهرة، والوراقين، وسوق الفاضل، وسوق الباسطية، وسوق الحاجب، والصاغة، وغير ذلك من الأسواق، وخرج الناس في للفرجة، ودخل على السلطان من التقادم ـ الهدايا ـ ما لا يحصر من مال وخيول وقماش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك، مما يزيد عن خمسين ألف دينار، فكان من جملة ما أهداه المقر الشهابي أحمد بن العيني طست وإبريق ذهب، زنته نحو ستمائة مثقال بمناسبة الختان وأشياء غير ذلك. وتختن مع ابن السلطان جماعة كثيرة من أولاد الأمراء والخاصكية، فكانوا زيادة عن أربعين ولداً، فأمر لكل صبي بكسوة على قدر مقام أبيه، فكان من جملة أولاد الأعيان: ابن الخليفة ابن أبي يزيد أمير المؤمنين عبد العزيز، وهو ابن سيدي عمر، وسيدي عثمان بن الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق، وابن الجمجمة ابن عثمان، وأولاد العلاي علي بن خاص بك، وغير ذلك من أولاد الأمراء والأعيان، وقيل مدت فيه أسمطة كثيرة بمختلف المطعومات والمشروبات، ودام هذا الاحتفال من أول شهر رجب إلى أواخره، وقيل دخل على المزين نحو خمسة آلاف دينار، فنال منها ألف دينار، والباقي تقاسمه رؤساء المزينين، وعد هذا الختان من النوادر (٨٣).

١ ـ أن الاحتفال بالختان لولد السلطان وأمر السلطان بتزيين القاهرة بأسواقها له دلالة واضحة أن المولود له المكانة العالية في نفس السلطان، وقد يتسلم زمام السلطنة يوماً من الأيام.

٢ ـ مشاركة الناس وخروجهم للتعبير عن فرحتهم يدل على ولائهم للسلطان

وذريته من بعده وخاصة أنه كان حفلاً كبيراً.

٣ . أن مثل هذا الاحتفال يقام على مستوى القاهرة، ويعد مناسبة معتادة جرت عادة سلاطين المماليك على إقامتها.

٤ . أن ختان الأولاد قد لا يتم في سابع يوم من الولادة، وإنما بعد مضي فترة طويلة قد تمتد بضع سنوات.

٥ . أن الهدايا التي يقدمها الأمراء للسلطان للتعبير عن ولائهم له وفرحتهم بمولوده تكون كثيرة وثمينة تناسب مقامه.

٦ . أن هذا الختان فيه فرصة لكبار الأمراء والأعيان وغيرهم أن يقوموا بختان أولادهم، وفيه إظهار لمشاركتهم السلطان فرحة ختان ولده ومنفعة متحصلة لهم في ختان أولادهم.

٧ . كانت المناسبة فرصة لإثراء المزين الذي ختن ولد السلطان، ثم من ماثله من المزينين، فقد ناله ألف دينار، وتقاسم أصحابه أربعة آلاف.

. أسمطة الزواج: وهي تتعلق بزواج السلاطين وأقاربهم:

سماط زواج السلطان الظاهر بيبرس من ماله الخاص: لما تزوج السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس تولى أمر زواجه بنفسه واختار له من يناسب علو جنسه، وكانت هي ابنة الأمير سيف الدين كرمون من أكابر أمراء الطبلخانات[٨٤]، وكان قبلها من كبار قادة التتار الذين أسلموا وحسن إسلامهم، وعقد النكاح في شهر ذي الحجة سنة ٦٧٤ هـ / مايو ١٢٧٦ م فأمرالسلطان بمنظرة الشرف الأعلى المعروفة بالكبش فهيئت بأحسن الزينة، وبفساقيها فملئت جلاباً[٨٥]، وبنواحيها فشحنت شراباً، ووقدت قرم العود [٨٦]، وفتتت أكر العنبر فكان إلى السماء ما لدخانه من الصعود، ورش الناس بالماورد المطيب بالمسك إلى أن ضمخت [٨٧] أردانهم، ودارت هنابات [٨٨] المخلوطات من العطريات إلى أن شملت ولم يخص بها أعيانهم، ووقدت الشموع في كثرتها، وعبي السكريج[٨٩] أهراماً فراقت بهجتها. كل ذلك من مال مولانا السلطان بمباشرة

غلمانه وأستاداريته، وحضر القضاة والقراء والوعاظ والمدرسون، وتم العقد على أحسن الصور، ولما عزم على الدخول بهذه الزوجة أمر الملك الظاهر بضرب دهليز تحت قلعة الجبل بسوق الخيل يوم العرس، ومد فيه سماط من مال الملك الظاهر وحضرت الأمراء على طبقاتهم وجاءت التقادم بأمر الملك الظاهر على قدر نفوسهم وهماتهم للسلطان فقبلها وبالجبر استقبلها[٩٠].

ويستخلص من هذا الحدث ما يلي:

١ . جرى العرف أن تكون تكلفة الاحتفال في عرس سلاطين المماليك على النفقات التي تخصص لهم وخاصة أن المطبخ السلطاني يقوم بجزء كبير من هذه المهمة، لكن السلطان الظاهر اختار أن تكون التكلفة من ماله الخاص تعففاً، وهذا خلاف العرف السائد، ولكن لا غنى في هذا الاحتفاء الكبير عن المطبخ السلطاني في إمكانياته وأدواته وحتى الأواني التي يقدم بها الطعام، وربما عهد السلطان إليه المهمة جلها أو بعضها، وربما أوصى بحساب التكلفة لهذا العمل ليقوم بدفعها من ماله الخاص.

٢ – أن السلطان اختار بنفسه من يتزوجها، وكانت ابنة أحد كبار أمراء الطبلخاناه سيف الدين كرمون.

٣ – أن السماط الذي أمر بمده السلطان الظاهر كان له مقدمات تدل على عظمته وتفرده فالأطياب التي استخدمت فيه تميزت بالكثرة والتنوع، فضلاً عن الأواني التي استخدمت، والمطعام والمشارب التي قدمت، لذا كانت مناسبة كبيرة لا يمكن مقارنتها بغيرها.

٤ . أن الهديا التي قدمها كبار الأمراء والأعيان للسلطان كانت كثيرة وقيمة، وقد أظهر السلطان تمنعاً في قبلوها، لكنه قبلها جبراً لخواطرهم.

سماط زواج الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس: في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٥ هـ / سبتمبر ١٢٧٦ م أمر السلطان الظاهر بيبرس بالاهتمام بالعرس لولده الملك السعيد، فمدَّ الخوان في الميدان الأسود– الذي يقع تحت القلعة – في

أربع دهاليز، وجمع لهذا الصنيع جميع ما في القلعة ممن يتقنون الطبخ، وأكل من هذا الطعام من علا ودنا، ونِيْل بالتمكن منه غاية المنى، وحضر السماط من كان في خدمة السلطان من رسل الملوك، وهم رسل منكوتمر ورسل الفرنج، وخلع عليهم فيمن خلع عليه. وجلس السلطان يومئذ في صدر الخيمة على تخت أبنوس وعاج مصفح بالذهب مسمر بالفضة، أنفق عمله ألف دينار. ولما انقضى وأكل الناس على طبقاتهم، قدم الأمراء للسلطان الهدايا والتحف ما يليق بمثله من الخيل والسلاح والمتاع وسائر الملابس، فلم يقبل لأحد منهم ما له قيمة، سوى ثوب واحد جبراً له[٩١].

ويستفاد من هذه المناسبة ما يلي:

١ . مناسبة قريبة من السلطان الظاهر بيبرس، وهي زواج ابنه السعيد، لذا فإن الاهتمام بها سيكون كبيراً.

٢ . مد الخوان في أربعة دهاليز، والمبالغة في إتقانه وكثرته دليل على جزيل اهتمام الظاهر بهذه المناسبة.

٣ . الحضور يدل على عظمة الدعوة، فقد شملت من جاء من رسل الملوك للمشاركة فيها حتى من رسل منكو تمر والفرنج ومعهم الهدايا التي تناسب هذا المقام، وبادلهم الواحدة بتلك.

٤ . صفة جلوس السلطان الملك الظاهر على التخت الذي تكلف مالاً جزيلاً قدر بألف دينار دليل على حبه أن يظهر أمام الجميع بمظهر الملك المتوج الذي لا يماثل بهاءً وسلطة.

سماط آنوك ابن الناصر محمد بن قلاوون: كان عرس الأمير آنوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون على ابنة الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله الساقي الناصري سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م كبيراً مدت فيه الأسمطة السلطانية الكثيرة، وقد ذبح فيه من الخيل والبقر والغنم والأوز والدجاج أكثر من عشرين ألف رأس، واستعمل فيه للحلويات وغيرها ثمانية عشر ألف قنطار من

السكر [٩٢].

يستفاد من هذا الحدث ما يلي:

١ . أن الاحتفال كان كبيراً يتوافق مع مقام السلطان وولده.

٢ . أن عدد ما ذبح في هذه المناسبة من الحيوانات والدواجن كان كبيراً.

٣ . أن الخيل كانت من الحيوانات التي ذبحت، ومباح أكلها في الإسلام، وأن المماليك ممن يستسيغ أكلها.

٤– أن الأسمطة التي مدت كانت كثيرة توحي بتنوع طعامها.

تزويج السلطان المؤيد للأمير فخر الدين بإحدى أمهات أولاد: قام السلطان المؤيد شيخ المحمودي في الثالث من محرم سنة ٨٢١ هـ / فبراير ١٤١٨ م بتزويج الأمير فخر الدين الأستادار بإحدى أمهات أولاده بعد أن قام بعتقها، وصنع لهما عرساً ذبح فيه ثمانية وعشرين فرساً، ومثلها من الطيور والأغنام والأبقار [٩٣].

ويستفاد من هذه الحادثة ما يلي:

١ . إكرام السلطان المؤيد شيخ للأمير فخرالدين وقربه منه، جعله يقوم بتزويجه إحدى بنات أولاده بعد عتقها وتحمل نفقات عرسهما.

٢ . أن عدد الخيول التي ذبحت كان كبيراً بما يوحي أنها من الحيوانات المفضل أكلها عند المماليك.

. أسمطة الإبلال من المرض، ومنها:

سماط بمناسبة شفاء السلطان الظاهر خشقدم: توعك السلطان الظاهر خشقدم في شهر المحرم سنة ٨٧٢ هـ / أغسطس ١٤٦٧ م، واشتد عليه المرض، حتى بدت عليه بوادر الشفاء وصلى صلاة الجمعة ثامن عشر شهر صفر من السنة ذاتها بجامع القلعة، وصلى الأمراء معه، وبعد الصلاة دخلوا عليه وسلموا عليه، ومد لهم السماط فرحاً بمناسبة قدومهم إليه وتمتعه بالعافية، وسقاهم مشروب السكر، لكنه توفي بعدها في عاشر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة [٩٤].

. أسمطة العزاء لأقارب السلطان والمقربين إليه:

أسمطة السلطان حزناً على وفاة أمير آخور: مات تاني بك اليحياوي أمير آخور [٩٥]، أحد أمراء الألوف، في شهرربيع الآخر سنة ٨٠٠ هـ / ديسمبر ١٣٩٧ م، ومشى السلطان الظاهر برقوق في جنازته وبكى عليه، وركب حتى دفن، وأقام القراء على قبره أسبوعاً، وأمر أن تمد لهم الأسمطة السلطانية [٩٦].

أسمطة السلطان حزناً على وفاة الدوادار: حزن السلطان الظاهر برقوق على موت الأمير قلمطاي الدوادار في شهر جمادى الأولى سنة ٨٠٠ هـ / يناير ١٣٩٨ م، فصلى السلطان عليه، وشهد دفنه، وبكى عليه، وعمل للقراء الأسمطة عند قبره أسبوعاً [٩٧].

سماط وفاة زوجة السلطان برسباي: توفيت ليلة الأحد الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ٨٢٧ هـ / مايو ١٤٢٤ م الست المصونة المحجبة خوند[٩٨] فاطمة بنت قجا زوجة السلطان الملك الأشرف برسباي، ودفنت في المدرسة الأشرفية المستجدة بجوار العنبرانيين، وحضر جنازتها جميع الأعيان، كيف لا وهي زوجة ملكهم وولي نعمتهم، ومشى الخليفة والقضاة والأمراء والحكام والأجناد وسائر من في البلد ولم يتخلف أحد منهم، وصلى عليها في باب الستارة، ومشى الأعيان في خدمتها إلى أن دفنوها صبيحة يوم الأحد. وكانت متضعفة مدة طويلة، كانت دينة تسعى في الخيرات عند السلطان للناس، وتأسف السلطان عليها وحزن حزناً شديدا وأكثر الترحم عليها، ومن حين وضعها في قبرها شرع القراء في قراءة القرآن، ودامت الأسمطة في المطبخ السلطاني إلى صبيحة يوم الجمعة، فجملة ذلك ستة أيام[٩٩].

يستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ – أن مد الأسمطة السلطانية ليس قاصراً على المظاهر والمناسبات المفرحة، بل إنها تقام أيضاً في مناسبات العزاء.

٢ – أن مدة إقامة الأسمطة قد تطول إلى ستة أيام أو أكثر، وخاصة إن كانت

متعلقة بأقرباء السلطان كزوجته هنا.

٣- أن الخليفة العباسي كان يشارك في حضور الجنائز المتعلقة بسلاطين المماليك لإظهار وصايته عليهم وإضفاء شرعيتهم كسلاطين.

٤ – أن كبار الأمراء والأعيان والقضاة والعلماء وغيرهم كان الأمر يتحتم عليهم حضور الجنائز المتعلقة بقرابة السلطان.

٥ – أن قراءة القرآن والأدعية هي من لوازم ولواحق العزاء في عصر المماليك.

. أسمطة مناسبات أخرى مرتبطة بالسلطان، ومنها:

سماط لفوز السلطان في لعب الكرة: لعب السلطان الظاهر برقوق في شهر ذي القعدة سنة ٨٠٠ هـ / يوليو ١٣٩٨ م بالكرة، فغلب االأمير أيتمش، فالتزم أيتمش لكونه قد خسر بعمل مهم . حفل . بمائتي ألف درهم، لكن السلطان أشفق عليه، فقام بعمل المهم بدلاً عنه، فمد لذلك سماطاً كان فيه من اللحم عشرون ألف رطل، ومائتا زوج من الأوز، وألف طائر من الدجاج، وعشرون فرساً ذبحت، وثلاثون قنطاراً من السكر عملت حلوى ومشروباً، وستون إردباً دقيقاً للشراب المسكر، وعملت المسكرات في دنان الفخار، ونزل السلطان سحر يوم السبت وفي عزمه أن يقيم نهاره كله مع الأمراء والمماليك يعاقرهم الشراب، فأشير عليه بترك هذا مخافة العاقبة، فأمر بمد السماط وعاد إلى قصره قبل طلوع الشمس، وأنعم على كل أمير قد حضر بفرس عليه قماش ذهب، وأنعم على الوزير، وناظر الخاص، ثم أذن للعامة انتهاب المآكل والمشارب [١٠٠].

ويستخلص من هذه الحادثة ما يلي:

١ . أن لعب الكرة من لواحق الفروسية عند سلاطين وأمراء المماليك.

٢ . أن في لعب الكرة قد يكون فيه الرهان.

٣ . إشفاق السلطان على الأمير أيتمش، وأعفاه من الرهان.

٤ . أن الأسمطة السلطانية التي مدت كان كبيرة، حافلة بالمطعومات والمشروبات.

٥ . عدول السلطان عن معاقرة الشراب مع الأمراء والمماليك بعد استماعه لنصيحة مفادها . ربما . أن في ذلك ذهاباً لمهابته أمامهم وأمام الرعية إن سمعوا بفعله، أو فيه الإضرار بصحته.

رابع عشر: أسمطة في النوازل، ومنها:

سماط في زمن الطاعون: في شهر ربيع الآخر سنة ٨٢٢ هـ / أبريل ١٤١٩م، وهي سنة مات فيها الكثير من الناس بسبب مرض الطاعون، خرج الناس إلى الصحراء يبتهلون إلى الله برفع الوباء، وخرج أعيان مصر إلى الصحراء، ونصبوا المطابخ بالحوش القبلي منها وأحضروا الأغنام والأبقار، وباتوا هناك في تهيئة الأطعمة والأخباز، فوافاهم السلطان الملك المؤيد شيخ إلى مكان جمعهم، ونزل عن فرسه وقام على قدميه وعن يمينه وشماله الخليفة والقضاة وأهل العلم، ومن بين يديه وخلفه طوائف من الصوفية ومشايخ الزوايا وغيرهم في عدد كبير لا يحصى، فبسط السلطان يديه ودعا الله سبحانه وتعالى وهو يبكي وينتحب والجم الغفير يراه ويؤمن على دعائه، وطال قيامه في الدعاء وكل أحد يدعو الله تعالى ويتضرع إلى أن أتم دعاءه، وركب يريد الحوش الظاهري حيث مدَّ الطعام والناس في ركابه وبين يديه من غير أن يمنعهم من ذلك مانع، وسار حتى نزل بالحوش المذكور من التربة الظاهرية، وقدم له الأسمطة فأكل منها وأكل الناس معه (١٠١).

ويستخلص من هذا الحادثة ما يلي:

١ . مشاركة سلاطين المماليك رعيتهم في السراء والضراء، بل كانوا قدوة لهم في التضرع إلى الله لرفع الوباء.

٢ . في هذا الوقت العصيب كان الناس في حاجة ماسة إلى الدعاء أولاً، ثم إلى الطعام والشراب، فما كان من السلطان المؤيد إلا أن أمر بمد الأسمطة لهم ليأكلوا منها، كما أن إطعام الطعام سبب منة أسباب رفع البلاء وكشف

الغمة.

٣ . مشاركة الخليفة والقضاة وكبار العلماء بالحضور دليل على شرعية السلطنة المملوكية ومكانتها الكبيرة في نفوس الجميع.

خامس عشر: أسمطة المناسبات الدينية:

سماط السنة الهجرية:

في أول المحرم من كل سنة جرت عادة سلاطين المماليك الاحتفال في هذا اليوم، فيذهب كبار الأمراء والقضاة الأربعة وكبار الأعيان ومن ناسبهم إلى مجلس السلطان للسلام عليه والتهنئة بالعام الهجري الجديد، وتقرأ الفاتحة، والدعاء إلى الله تعالى بحفظه ومباركة أيامه، ودليل ذلك ما ذكره الصيرفي إذ قال: " أهل . شهر المحرم . بالخميس، وفيه صعد قضاة القضاة لتهنئة السلطان بالشهر على العادة، وكنت في خدمة قاضي الحنفية، وقرءوا الفاتحة " (١٠٢).

وعادة يمد السماط السلطاني في هذه المناسبة، ومثاله ما حدث في رأس السنة الهجرية سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م، فقد قبل الأمراء المقدمون للسلطان الأرض جميعهم " ثم مد لهم في ذلك اليوم أسمطة حافلة، وأقاموا عنده إلى بعد الظهر " (١٠٣).

سماط المولد النبوي:

المولد النبوي مناسبة دينية جليلة، لذا فهي تتكرر في موعدها سنوياً، ولها احتفالها ورسومها، ففيها تلقى الخطب الوعظية، وتتلى آيات من الذكر الحكيم، ويحرص سلاطين المماليك على حضورها، يشاركهم فيها الخليفة العباسي، وكبار الأمراء، والقضاة الأربعة وجمع لفيف من العلماء والأعيان، وفيها تمد الأسمطة المتنوعة في أطعمتها التي تتناسب مع هذه المناسبة وخاصة الحلويات، وعادة يشارك السلطان الأكل مع الحاضرين، ويبدأ الاحتفال عادة بعد الظهر، وينتهي بعد صلاة المغرب (١٠٤).

يذكر المقريزي أنه في أيام الظاهر برقوق الذي تولى الحكم سنة ٧٨٤ هـ /

١٣٨٢ م عمل المولد النبوي في الحوش الذي بناه الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م جوار القلعة، وأقيم المولد فيه أيام الظاهر برقوق في أول ليلة جمعة من شهر ربيع الأول في كل عام، فإذا كان وقت ذلك ضربت خيمة عظيمة بهذا الحوش وجلس السلطان، وعن يمينه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني، ويليه الشيخ المعتقد إبراهيم برهان الدين بن محمد بن بهادر بن أحمد بن رفاعة المغربي، ويليه ولد شيخ الإسلام ومن دونه، وعن يسار السلطان الشيخ أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزري المغربي، ويليه قضاة القضاة الأربعة وشيوخ العلم، ويجلس الأمراء على بعد من السلطان، فإذا فرغ القراء من قراءة القرآن الكريم قام المنشدون واحداً بعد واحد، وهم يزيدون على عشرين منشداً، فيدفع لكل واحد منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير من أمراء الدولة شقة حرير، فإذا انقضت صلاة المغرب مدت أسمطة الأطعمة الفائقة، فأكلت وحمل ما فيها، ثم مدت أسمطة الحلوى السكرية من الجوارشات (١٠٥) والعقائد ونحوها، فتؤكل وتخطفها الفقهاء، ثم يكون تكميل إنشاد المنشدين ووعظهم إلى نحو ثلث الليل، فإذا فرغ المنشدون قام القضاة وانصرفوا، وأقيم السماع بقية الليل، واستمر ذلك مدة أيامه، ثم أيام ابنه الملك الناصر فرج (١٠٦).

وعلى إعتبار هذه المناسبة متكررة في كل سنة، فإننا سنعرض لبعضها كنماذج لما فيها من فوائد، ومن ذلك:

ففي يوم الخميس آخر شهر صفر سنة ٨١٣ هـ / يونيو ١٤١٠ م عمل السلطان المولد النبوي ليلاً بعمارته التي أنشأها في الحوش من قلعة الجبل على عادته وحضر القضاة فجلسوا صفاً عن يساره، وجلس عن يمينه الشيخ إبراهيم بن زقاعة، والشيخ نصر الجلالي، ومشايخ العلم، ومدت الأسمطة، وفرقت الخلع (١٠٧).

ويستخلص من الحدث ما يلي:

١ . أن الاحتفال بيوم المولد النبوي كان في عمارة السلطان التي أنشأها من

قلعة الجبل، وعادة يكون في القلعة ذاتها وأن توضع خيمة كبيرة كما يأتي في حوادث لاحقة.

٢ . أن الحفل كان بحضور القضاة، وأنهم عادة يقفون عن يساره، وبقية المشايخ عن يمينه.

٣ . في الحفل انتهز السلطان فرصة وجود من فيه وخلع عليهم الخلع المناسبة لشخوصهم، تقديراً لهم.

٤ . أن أسمطة الطعام تمد عادة في هذا اليوم، ولا تخلو عادة من حلوى المولد التي لازال أهل مصر يعرفونها.

وفي يوم الخميس سابع عشرين من ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ / أغسطس ١٤٣٨ م عمل السلطان الظاهر جقمق المولد النبوي بالقلعة على عادة من تقدمه من ملوك الجراكسة، فكان وقتاً حسناً، وأسمطة جليلة، وزاد فيه زيادات حسنة من كثرة الأسمطة والحلاوات، وانفض الجمع بعد صلاة المغرب (١٠٨).

ويستفاد من هذا الحدث ما يلي:

١. أن الاحتفال بيوم المولد النبوي هو من اهتمام سلاطين المماليك لإظهارهم كحماة للدين والشرع وإظهار محبتهم لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ . أن الاحتفال تقام مراسمه عادة في القلعة تحت رعاية السلطان.

٣ . تمد في هذا الاحتفال الأسمطة للحاضرين من المشايخ وكبار الأمراء والأعيان، وتقدم فيه الأطعمة المناسبة لهذا اليوم سيما حلوى المولد.

٤ . أن الاجتماع للاحتفال كان قبل المغرب، وانفض بعده.

وفي يوم الإثنين حادي عشر ربيع الأول سنة ٩٢٢ هـ / أبريل ١٥١٦ م عمل السلطان المولد الشريف النبوي على العادة ونصبت الخيمة العظيمة التي صنعها الأشرف قايتباي، قيل إن مصروفها ستة وثلاثون ألف دينار، وهذه الخيمة كهيئة قاعة وفيها ثلاثة لواوين وفي وسطها قبة على أربعة أعمدة

عالية، لم يعمل في الدنيا قط لها نظير، وهي من قماش ملون، وهذه الخيمة لا ينصبها إلا ثلاثمائة رجل من النواتية [١٠٩]، فنصبها بالحوش، ونصب الشربدارية [١١٠] في الحوش أحواض جلد ممتلئة بالماء الحار، وعلقوا شوكات بالكيزان الفاخرة، وزينوا بالأواني الصيني والطاسات النحاس، وزادوا في زينة الشربخاناه أكثر من كل سنة، ثم جلس السلطان في الخيمة، وحضر الأتابكي سودون العجمي وسائر الأمراء من المقدمين وغيرها، وحضر القضاة الأربعة وأعيان الناس من المباشرين على العادة، ثم حضر قراء البلد والوعاظ على عادتهم أيضاً، ثم مد السلطان السماط السلطاني الحافل وأوسع في أمره، وكان ذلك اليوم مشهوداً وأبهج من الموالد الماضية [١١١].

ويستخلص من الحدث ما يلي:

١ . أن هناك خيمة تنصب خصيصاً للاحتفال بيوم المولد.

٢ . أن الخيمة التي نصبها السلطان الأشرف قايتباي كانت بديعة لا مثيل لها، وهذا دليل على اهتمامه بهذا اليوم الذي يشعر الجميع بأنه حامي الشرع الإسلامي والمسلمين .

٣ . أن الإنفاق على تكاليف الحفل في هذا اليوم كانت كبيرة تدل على عظيم اهتمام السلطان الأشرف به.

٤ . أن الأواني المستخدمة في تقديم الطعام كانت فاخرة تناسب مقام السلطان والحاضرين وهم الأتابكي وكبار الأمراء والمقدمين، فضلاً عن القضاة الأربعة وغيرهم.

٥ . حضور القراء والوعاظ هذا اليوم فيه دلالة على خطب الوعظ، والإنشاد وقراءة القرآن.

٦ . أن سماط المولد هو من أساسيات الاحتفال به، وهو مسك ختام الحفل.

أسمطة رمضان: للوقوف على ما يصرف في شهر رمضان على الأسمطة السلطانية، يخبرنا المقريزي أنه " بلغ في أيام الناصر محمد بن قلاوون راتب

السكر في شهر رمضان خاصة من كل سنة ألف قنطار، ثم تزايد حتى بلغ في شهر رمضان سنة ٧٤٥ هـ / يناير ١٣٤٥ م ثلاثة آلاف قنطار عنها ستمائة ألف درهم عنها ثلاثون ألف دينار مصرية، وكان راتب الدور السلطانية في كل يوم من أيام شهر رمضان ستين قنطاراً من الحلوى برسم التفرقة للدور وغيرها"[١١٢].

ويتضح من كلام المقريزي أن الصرف على الدور السلطانية وأسمطتها كان كبيراً خاصة في أيام شهر رمضان حيث ولائم الإفطار التي يقيمها السلطان عادة لكبارالأعيان ويشاركهم فيها إظهاراً لحرصه على الصيام وإفطار الصائمين فيه، ومثال ذلك أنه في رمضان سنة ٨١٦ هـ / نوفمبر ١٤١٣ م استدعى السلطان الأمراء للفطر عنده، ومد لهم سماطاً يليق بهم، فأكلوا معه، وتباسطوا، فلما رفع السماط قبض على الأمير دمرداش المحمدي وعلى ابن أخيه الأمير قرقماس وقيدهما وبعثهما من ليلته إلى الإسكندرية، فاعتقلا بها [١١٣].

وعادة هذه الأسمطة يقوم بإعدادها المطبخ السلطاني المجهز بكافة الاحتياجات من المواقد والأواني المستخدمة والأطعمة التي يقوم بإعدادها، وما يلحقها من فاكهة وخضار تجلب إليه.

سماط عيد الفطر:

يعد هذا السماط من مباهج العيد في السلطنة المملوكية، ويدل على اهتمام السلاطين بإقامة شعائر الإسلام وما يلحق بها، وجرت العادة أن يمد السماط السلطاني بحضرة السلطان، حيث يكون جلوسه على رأس الخوان، وعن يمينه وعن يساره الأمراء على قدر مراتبهم، فيأكلون أكلاً خفيفاً، ثم يقومون مجتمعين، ثم يجلس من دونهم طائفة بعد طائفة، ثم يرفع الخوان [١١٤].

وقد ينفق على السماط السلطاني المال الجزيل، فقد بلغ مصروف السماط السلطاني في يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم، منها نحو ألفين وخمسمائة دينار يخص بها الغلمان والعامة، وكان يطبخ في سماط الملك الظاهر برقوق في كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم [١١٥].

وقد تقتضي المصلحة إيقافه نظراً لضعف أحوال البلد وهذا الذي حدث في الشام نتيجة لانتشار وباء الطاعون سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م وما نجم عنه من آثار اقتصادية وبشرية، وكثرة اختلاف الأمراء، ففي شهر شوال سنة ٧٥٠ هـ / ديسمبر ١٣٤٩ م أبطل الأمير منجك سماط عيد الفطر، واحتدج بأنه يقوم بنحو الخمسين ألف درهم، ولا فائدة معتبرة منه، فإن الغلمان والعبيد ينهبونه، وأحوال البلاد الشامية متوقفة، وتوفيراً لذلك فمن المصلحة إيقافه، لكن الأمراء وغيرهم أنكروا عليه هذا الفعل (١١٦).

أما في الأحوال العادية، فإن سماط رمضان يعمل سنوياً، ومثال هذا السماط، أنه في شوال سنة ٧٥٣ هـ / نوفمبر ١٣٥٢ م صلى السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون العيد بدمشق بالميدان، وكان في موكب حافل جداً، وقد ركب معه الأمراء بأسرهم والذين قدموا من حلب، وكان معهم الأسرى ممن قبض عليهم من جماعة الأمير بيبغاروس، ولما انقضت صلاة العيد مد السماط السلطاني بالميدان، وكان حافلاً (١١٧).

ويستدل من هذا الحدث أن الاحتفال بالعيد . وهو عيد الفطر . قد يكون خارج مصر والقاهرة، فقد يكون حيثما حل السلطان، وفي هذا الحدث كان الاحتفال ومد السماط السلطاني في ميدان دمشق.

خاتمة البحث والنتائج

يمكن تسجيل النتائج التالية:

١ ـ كثرة الأسمطة السلطانية فيه دلالة على الرخاء الاقتصادي الذي كان سائداً في زمن المماليك.

٢ . أن تنوع الأسمطة يدل على تأثر المطبخ السلطاني المملوكي بغيره من مطابخ الشعوب التي اتصل بها، وخاصة أن السلطنة المملوكية كانت لها السيادة على مصر والشام، فضلاً عن الحجاز واليمن وشمال أفريقية وغيرها من البقاع.

٣. أن الأسمطة السلطانية تنوعت ما بين أسمطة إعتيادية داخل القصر السلطاني، فضلاً عن المناسبات التي بدورها كانت كثيرة، وخاصة

المتصلة بسلاطين المماليك منذ ولادتهم كيوم الولادة ويوم الختان، ثم دخلت كعنصر أساس في حياتهم الإجتماعية كالزواج، والإبلال من المرض، والحج، والسفر، والعزاء وغيرها لهم ولأقربائهم ومن اتصل بهم من كبار الأمراء والأعيان.

٤ . أن الحياة العسكرية الغالبة على سلطنة المماليك في تنشأتهم وخوضهم للحروب جعلت لهذا الأسمطة دورها في التعبير عن ذلك، فتولي السلطان هو بداية الأسمطة المتعلقة بمظهر حكمه، وقد تكون تلك الأسمطة عند توليته السلطنة بعد فوزه وإنتصاره على خصومه، أو بعد توليه للسلطنة والقضاء على خصومه، وقد تكون هذه الأسمطة أيضاً بعد معارك خارجية انتصر فيها.

٥ . تتحفنا المصادر المملوكية أيضاً بأن ضيوف السلطنة كان لهم نصيبهم من الأسمطة التي يقوم المطبخ السلطاني بإعدادها لهم بتميز وسخاء.

٦ . لم يبخل سلاطين المماليك على العلماء والمشايخ في إقامة ولائم تناسب علو قدرهم.

٧. كانت الأسمطة السلطانية تمد إحتفالاً فيما يبنى من مؤسسات إجتماعية وثقافية ودينية، وهي بمثابة إظهار عنايتهم ورعايتهم لتلك المؤسسات.

٨ . يبرز دور المطبخ السلطاني عبر أسمطته المتنوعة أيضاً في زمن الأوبئة والكوراث الطبيعية، وفي عمل ما يصلح البلاد والعباد كالحفير الذي تم من أجل إقامة السد بين الجامع الجديد الناصري وبين جزيرة الروضة.

٩ . حظيت المناسبات الدينية بدور لافت في حياة سلاطين المماليك وكرست عنايتهم وجل إهتمامهم بها وأظهرتهم كحماة للدين والشريعة الإسلامية.

١٠ . حاولنا جهدها ضرب الأمثلة الدالة على تنوع الأسمطة السلطانية التي كانت تقام في مناسبات شتى، وهي بحسب أهمية كل مناسبة، ولا ريب فإن للمطبخ السلطاني في زمن المماليك دوره الأساس في إعداد الطعام وتنوعه والتجهيز له، ويدل هذا أيضاً على حسن ترتيب بيت الحكم المملوكي.

١١ . البحث في مجمله يعكس صورة من صورالحياتين الاجتماعية والاقتصادية، وهو حسبنا.

الهوامش

(١) النوال: النوال هو العطاء، ويجمع نوالات.انظر: ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٤٥٨٢.

(٢) الأقسماء: هو نوع من الشراب المطيب والمحلى والمبرد. أنظر: ابن شاهين الظاهري، المجمع المفنن بالمعجم المعنون، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبعة المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ٢٠١١، مج ٢ ص ٤٣٢؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، طبع دار الفكر بيروت ودمشق ١٩٩٠، ص ٩٢ – ٩٣.

(٣) الأفاوية: نوع من الشراب الحلو، وعادة يطيب بماء الورد. ابن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان و صديق أحمد عيسى المطيعي، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٩٧.

(٤) الكيماخ: أظنها مشتقة من الكامخ، وتجمع أيضاً كوامخ، وهو ما يؤدم به، أو المخللات المشهية وهي الأرجح عندي. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٣٩٢٨؛ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة ١٩٧٢، ص ٧٩٨.

(٥)) ما جاء عن تلك الأسمطة مستخلصاً عن: ابن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، طبعة المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ١٩٨٦،.ص ١٠٤ – ١٠٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣ م، ج ٤ ص ٥٦؛ المقريزي، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، طبعة دار صادر ، بدون تاريخ، ج ٢ ص ٢١٠– ٢١١؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، طبعة دار الفكر، دمشق ١٩٩٠، ص ٩٢ – ٩٣.

(٦) الإيوان الكبير: بناه العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز لدين الله في سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م، كان الخلفاء أولاً يجلسون به في يومي الإثنين والخميس إلى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه في اليومين المذكورين إلى قاعة الذهب، وبصدر هذا الإيوان كان الشباك الذي يجلس فيه الخليفة، وكان يعلو هذا الشباك قبة، وفي هذا

الإيوان كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر. انظر: المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ١ ص ٣٨٨.

(٧) أرباب الأقلام: هم الكتاب، وسموا بذلك لأنهم يعملون بأقلامهم، وكانوا يتولون الوزارة، ومنهم كتاب ديوان الإنشاء وكتاب السر وكتاب الدست. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٧٤.

(٨) الخوان: ما يؤكل عليه، قال الليث: الخوان المائدة، معربة. ان منظور، المصدر السابق، ص ١٢٩٥.

(٩) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٥٦.

(١٠) شاد الشربخاناه: هو من يتحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية، وفيها المشروبات التي تقدم إلى السلطان ومنها السكر اللازم لذلك، الفاكهة وغيرها، ومن يتولاها تارة يكون مقدماً، وتارة يكون طبلخاناه. القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢١، ١٨٨.

(١١) المأمونية: حلوى من سميد وسمن وسكر، مبتكرها حلبي يدعى مأمون كان يعمل في سوق السقطية، فنسبت إليه، وهو سوق مطعم حلب، وكانت المأمونية فطور أيام الربيع. أنظر: خير الدين الأسدي، موسوعة حلب المقارنة، أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كمال، إصدار جامعة حلب، دمشق ١٩٨٧، ج ٣ ص ٢٠.

(١٢) الجمدار: هو من يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير، وهي كلمة فارسية مركبة من لفظين أحدهما جاما ومعناه الثوب، والثاني دار ومعناه ممسك. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٥٩.

(١٣) المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ٢ ٢١٠ – ٢١١.

(١٤) شعار السلطنة: هو أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التي كان السلطان يظهر بها في المواكب الحافلة مثل موكب السلطنة وموكب الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل وموكب صلاة العيدين ونحوها، ومن هذه الملابس والأدوات في الزمن الأيوبي والزمن المملوكي الغاشية وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب، تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب الحافلة كالميادين والأعياد ونحوها، ومنها المظلة التي يعبر عنها بالجتر، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب، تحمل على رأس السلطان في العيدين، ومنها الرقبة وهي رقبة من أطلس أصفر مزركشة بالذهب وتجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت أذني الفرس إلى نهاية عرفه، ومنها الجفتة وهما إثنان من أوشاقية اسطبل السلطان

قريبان في السن عليهما قباءان أصفران من حرير بطراز من زركش، وعلى رأسهما قبعتان من زركش، ومنها الأعلام وهي عدة رايات منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصابة، وراية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش، ورايات صفر صغار تسمى السناجق. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٧ – ٨.

(١٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، تحقيق مجموعة من الباحثين منهم: جمال محمد محرز، وفهيم محمد شلتوت، وإبراهيم علي طرخان، وجمال الدين الشيال ١٦ جزءاً، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، صادرة عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة ١٩٧٠، ج ٧ ص ٤١.

(١٦) الطبر دار: هو الذي يحمل الطبر حول السلطان عند ركوبه في المواكب وغيرها، وهو مركب من لفظين فارسيين، أحدهما طبر وهو معروف (الفأس)، وداربمعنى ممسك. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٥٨.

(١٧) الخافقية: هي الوعاء الكبير أو الغضارة الكبيرة. تجمع على خوافق هي ما يسميها أهل العراق بالكاسة، والبعض اللآخر يسميها المنكاسة، هي الزبدية بلسان المصريين يجمعونها على زبادي، وهي السلطانية بلسان المصريين أيضاً يجمعونها على سلطانيات أو سلاطين. أنظر: بطرس البستاني، محيط المحيط، طبع مكتبة لبنان، نسخة مصورة، بيروت دون تاريخ نشر، ج ١ ص ٢٢١

(١٨) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٩، ج ٣ ص ٢١١ – ٢١٢.

(١٩) ابن دقماق، التحفة المسكية في الدولة التركية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبع المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٩٩، ص ٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ٨ ص ٥٦.

(٢٠) فرجية: ثوب واسع طويل الأكمام يتزيا به علماء الدين. أنظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، طبعة القاهرة ١٩٧٢، ص ٦٧٩.

(٢١) دار العدل: كان مكانها بالقلعة، وعادة يحضر فيها رئيس ديوان الإنشاء ومعه كتاب الدست وهم الموقعون أيضاً للنظر في المظالم لقراءة القصص على السلطان، والقصص هي المظالم التي يحملها الدوادار إلى المجلس، وإذا لم يتخذ قراراً في هذه المظالم أثناء وجود السلطان أو من ينوب عنه، فإنها تحمل إلى ديوان الإنشاء لبحثها،

ومنه ترسل إلى الجهات المختصة للتنفيذ ويوقع عليها بذلك، ويكون هذا التوقيع من قبل رئيس الديوان، إما بمراجعة السلطان أو بغير مراجعة. عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج ١ ص ٦٦.

(٢٢) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٧٣، ج ٣ ص ٢٨٧.

(٢٣) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٣٩.

(٢٤) المصدر السابق، ج ٤ ص ١٢٢١.

(٢٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٦، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

(٢٦) هو مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة التدمري أمير آل فضل من بني طي، كان سلاطين المماليك يكرمون وفادته إليهم في أيام الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، وابن الناصر محمد بن قلاوون. أنظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجيل، بدون تاريخ نشر، ج ٤ ص ٣٦٨ – ٣٧٠.

(٢٧) الملة: هي الخبز الذي ينضج بالرماد الحار. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٤٢٧٠.

(٢٨) اليوسفي، نزهة الناظر في سيرلك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، طبعة عالم الكتب ١٩٨٦، ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٢٩) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٣ ص ٥٩٢.

(٣٠) قلعة صهيون: قلعة حصينة في طرف جبل من أعمال حمص، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة، ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة، ولها ثلاثة أسوار، كانت بيد الإفرنج حتى استردها صلاح الدين الأيوبي منهم سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة دار صادر، ودار بيروت ١٩٧٩، ج ٣ ص ٤٣٦ – ٤٣٧.

(٣١) قلعة صرخد: قلعة حصينة بنيت في العصر الأيوبي فوق تل بركاني بمدينة صرخد التي تقع في حوران من أعمال مدينة دمشق. أنظر: أبو الفداء، تقويم البلدان، طبعة دار صادر، نسخة مصورة عن طبعة دار الطباعة السلطانية، باريس ١٨٤٠، ص ٢٥٨؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج ٣ ص ٤٠١.

(٣٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٣ ص ١١٨؛ المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ١٦٤.

(٣٣) هو قانباي المحمدي الظاهري برقوق، تقلبت به الأحوال إلى أن قدم مع المؤيد شيخ واستقر دوادراً ثم نقل إلى نيابة الشام، ثم عصى هو وجماعة وخرج السلطان بنفسه لقتالهم، فانتصر عليهم، ثم أمسك وحبس، ثم قتل بقلعة دمشق في أواخر سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م. انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ٦ ص ١٩٦.

(٣٤) هو الأمير طرباي، قدم على الأمير نوروز وأخبره بسلطنة الملك المؤيد شيخ، فأنكر معه سلطنته ولم يقبلها، وكان شريكاً للأمير قانباي المحمدي في خروجه عن طاعة المؤيد شيخ الذي خرج بنفسه لقتالهما وانتصر عليهما. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤ ص ٤، والضوء اللامع، ج ٦ ص ١٩٦.

(٣٥) عكرشة: بلدة تابعة لشبين القناطر، قيل إنها المكان الذي التقى فيه يوسف الصديق بأبيه. أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ٣١٨، هامش رقم ١.

(٣٦) العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " شيخ المحمودي "، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، نشر دار الكتا العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ – ١٩٦٧، ص ٣٣٣، ٣٣٥ – ٣٣٦.

(٣٧) الدوادار: اسم فارسي مركب من لفظين، أحدهما عربي وهو الدواة، والثاني دار ومعناه ممسك، هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير، ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من أمور لازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ بحسب ما يقتضيه الحال. أنظر: محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص ٧٧، وأنظر أيضاً:

Dozy: Supplement aux Dictionaires Arabes 2 vols , Leden,1881,I,P.469.

(٣٨) أتابك العساكر: مصطلح أتابك يتألف من لفظتين تركيتين، وهما أطا بمعنى أب، وبك بمعنى أمير، يطلق هذا اللقب أيام المماليك بمصر على مقدم العساكر، أوالقائد العام على اعتبار أنه أبو العساكر والأمراء جميعاً. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٨.

(٣٩) هو يشبك السودوني الأتابكي ويعرف بالمشد والدوادار، ترقى في المناصب فأصبح شاداً للشراب خاناه، ثم حاجباً للحجاب، ثم ترقى إلى إمرة مجلس، ثم إلى إمرة سلاح، إلى أن تعين في الأتابكية، ونالته حينئذ السعادة. انظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ١٠ ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

(٤٠) أمير سلاح: لقب يطلق على الذي يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير. راجع: محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤١) أمير مجلس: لقب من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٨ و ج ٥ ص ٤٥٥؛ محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص ٢٢.

(٤٢) أمير آخور: يتحدث صاحبها عن اسطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الاسطبلات. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٦١.

(٤٣) الدوادار: تقدم ذكره.

(٤٤) خليج الزعفران: خليج هام وهو متنزه لسلاطين المماليك، كان يتفرع من الخليج الكبير من مدينة القاهرة ويسير باتجاه الريدانية. محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، طبعة دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩١، ص ٢٢٤ – ٢٢٦.

(٤٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٥ ص ٣٦٩ – ٣٧٠.

(٤٦) هي مدينة عظيمة تقع في بلاد الروم، كانت مقراً لملوك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قلج أرسلان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج ٤ ص ٤٢١ – ٤٢٢.

(٤٧) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، اعتناء أحمد حطيط، طبعة مركز الطباعة الحديثة، بيروت ١٩٨٣، ص ١٧٥ – ١٧٦.

(٤٨) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٣ ص ١٧٠؛ إبن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، خمسة أجزاء ١٩٨٢ – ١٩٨٤، ج ١ / ٢ ص ٧٥ – ٧٦، ٨٢.

(٤٩) اللعب بالكرة: تسمى أيضاً الأكرة، والصولجان، وهي اللعبة المعروفة اليوم باسم بولو، تلعب واللاعبون على ظهور الخيل، وتصنع الكرة من مادة خفيفة كالفلين وخلافه، وتضرب بالجوكان وهو المحجن ويعبر عنه بالصولجان، وهو عصا مدهونة طولها نحو أربعة أذرع وبرأسها خشبة مخروطية الشكل تزيد عن نصف ذراع. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٧ و ٥ ص ٤٥٨؛ العيني، السيف المهند، ص ٢٩٢، محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، سعود محمد العصفور، الألعاب

ووسائل التسلية في العصر المملوكي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، عدد يناير ٢٠٠٥، ج ١ ص ٩٢٨. وعن الحادثة ذاتها أنظر: البرزالي، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبعة المكتبة العصرية، صيدا . بيروت ٢٠٠٦، ج ٢ ص ٢٣٧.

(٥٠) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٣ ص ٨٧٤.

(٥١) المحفة: هي الهودج. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٥ ص ٤٧٠؛ محمد قنديل البقلي، المرجع السابق، ص ٣٠٣

(٥٢) المحاير: جمع محارة، وهي تشبه الهودج، وفي اصطلاح العامة صندوقان يشدان إلى جانب الرحل. انظر، المقريزي، السلوك، ج ٢ ص ٢٣٣ هامش محمد مصطفى زيادة؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣ ص ١٣٤، هامش ٧.

(٥٣) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ١٩٧ – ١٩٨.

(٥٤) التوسيط: هو ضرب المحكوم عليه بالموت بعد أن يعرى من ثيابه ضربة قوية بالسيف تحت السرة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه إلى الأرض. أنظر: المقريزي، السلوك، ج ١ ص ٤٠٤، حاشية رقم ١؛ سعود محمد العصفور، وسائل التعذيب في العصر المملوكي، بحث منشور في حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد الأول، يناير . مارس ٢٠٠٣، ص ٨٣.

(٥٥) ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبعة المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ٢٠٠٢، ج ١ ق ١ ص ٢٤٢ . ٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٩، ج ١٤ ص ٢٤٦؛ المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٢ ص ٨٧٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، طبعة دار الجيل، بيروت بدون تاريخ، ج ٢ ص ٢٠٣ – ٢٠٤؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ١ ص ٥٤٣، ٥٤٤.

(٥٦) قاعة العواميد: هي إحدى قاعات القلعة، كانت مخصصة لحاجات السلطان المنزلية، وكانت تعرف بالقاعة الكبرى. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٢ ص ١٤٥، حاشية رقم ٦؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٦.

(٥٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٤ ص ٦٠ – ٦١.

(٥٨) الريدانية: كانت بستاناً لريدان الصقلي أحد خدام العزيز بالله الفاطمي، قتله الحاكم بأمر الله في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٣٩٣ هـ / أكتوبر ١٠٠٣ م. أنظر:

المقريزي، الخطط، ج ٢ ص ١٣٩.

(٥٩) بركة الفيل: تقع فيما بين مصر والقاهرة، قال المقريزي نقلاً عن ابن سعد إنها دائرة كالبدر، والمناظر فوقها كالنجوم، وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم، فيكون بذلك لها منظر جميل، وكان ماء النيل يدخل إليها من الموضع الذي يعرف بالجسر الأعظم تجاه الكبش. انظر: المقريزي، الخطط، ج ٢ ص ١٦١ – ١٦٢.

(٦٠) ابن دقماق، التحفة المسكية في الدولة التركية، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبع المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٩٩، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

(٦١) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٤٩.

(٦٢) البرزالي، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١١ – ٣١٢؛ ابن شداد، المصدر السابق، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٦٣) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٣ ص ٨٦٩ – ٨٧٠.

(٦٤) الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠، ج ٣ ص ٢٥.

(٦٥) صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٩.

(٦٦) القمز: ويسمى أيضاً القميز، أو خمير اللبن، هو خمير لبن الخيل، واللفظ مغولي، فقد كان كان القميز شرابهم المسكر، وطريقة صنعه أن توضع ألبان الأفراس في قراب، ثم تخض بشدة، وتترك حتى تخمر، فتصبح صالحة للشرب، والآن ابتكروا طريقة مغايرة يتم بواسطتها تبخير ثم تقطير لبن الخيل ليصبح قميزاً مسكراً، وكان السلطان المملوكي الظاهر بيبرس يحبه كثيراً. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٧٥، حاشية رقم ١؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، طبعة دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ نشر، ج ١ ص ٣٣١.

(٦٧) ابن دقماق، المصدر السابق، ص ١٢٣. وعن القصر االسلطاني الكبير الأبلق في القلعة أنظر: المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ١ ص ٣٨٤ – ٣٨٧.

(٦٨) التشاريف: ملابس تختلف في نسجها وتطريزها وترصيعها ينعم بها السلطان على الأمراء وغيرهم بحسب مراتبهم. القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٥٢ – ٥٤.

(٦٩) ابن شهبة، تاريخه، تحقيق عدنان درويش، طبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية و

الجفنان والجابي للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٤، مج ٣ ج ٢ ص ٥٣٨ – ٤٣٩.

(٧٠) الروضة: هي جزيرة بين مصر ومدينة الجيزة، عرفت في أول الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر، ثم قيل لها جزيرة الحصن، وبعدها سميت بالروضة. أنظر: المقريزي، الخطط المقريزية، مصدر سابق، ج ص ١٧٧ – ١٨٢.

(٧١) الخاصكية: هم الذين يلازمون السلطان في خلواته ويسوقون المحمل الشريف ويتعينون بكوامل الكفال ويجهزون في المهمات الشريفة والمتعينون للإمرة والمقربون في المملكة، ومنهم من لا وظيفة له. ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص ١١٥ – ١١٦، وانظر أيضاً:

Quatreme're;Histoire des Sultans Mamlouks Paris 1969.I,2, P.158,n.3.

(٧٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٤ ص ٢٦، ٢٧ – ٢٨؛ المقريزي، مصدر سابق، السلوك، ج ٤ ص ٣١٣.

(٧٣) ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ / ١ ص ٥٦٠.

(٧٤) ابن دقماق، النفحة المسكية، مصدر سابق، ص ٢٤٤ و الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لنفس المؤلف، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، طبعة عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥، ج ٢ ص ٢٦٥.

(٧٥) السماسم أو الصماصم: هي ترعة كانت تسق أراضي الشرقية قبل حفر خليج أبي منجا. انظر المقريزي، الخطط، ج ١ ص ٤٨٦، ٤٨٧.

(٧٦) خانقاه سرياقوس: تقع خارج القاهرة من شماليها أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك لما بنى الميدان والأحواش في بركة الجب، جعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبنى بجانبها مسجداً تقام به صلاة الجمعة وبنى حماماً ومطبخاً، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٧٢٣ هـ / م. أنظر: المقريزي، الخطط، ج ٢ ص ٤٢٢.

(٧٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٤ ص ٣٨ – ٣٩.

(٧٨) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ٥٠٨ – ٥٠٩.

(٧٩) العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ج ٤ ص ٣٠٨.

(٨٠) ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، مصدر سابق، ج ١ ق ١ ص ٢٨٣؛ المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٣ ص ٢١.

(٨١) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، طبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن، الهند ١٩٦٧، ج ١ ص ١٥٢؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢

ص ١٥٣؛ ابن دقماق، التحفة المسكية، مصدر سابق، ص ٢١٥؛ ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، مصدر سابق، ج ١ ق ٢ ص ٩٦.

(٨٢) المقريزي، السلوك، مصدر سابق ج ٤ ص ٤٥٢.

(٨٣) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٧١ – ٢٧٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة ١٩٦٢، ق ١ ص ١٣١.

(٨٤) أمير طبلخاناه: الطبلخاناه كلمة فارسية معناها فرقة موسيقية سلطانية، أو بيت الطبل، ويشتمل هذا البيت الطبول والأبواق، وكانت عادة تدق نوبة في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون أيضاً صحبة السلطان في الأسفار والحروب، عليها أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم يقف عليها عند ضربها في كل ليلة ويتولى أمرها في السفر. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٨، ٩، ١٣.

(٨٥) الجلاب: هو السكر إذا عقد بوزنه أو أكثر بماء الورد. أنظر: داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب طبعة المطبعة الأزهرية، القاهرة ١٣٤٣ هـ ، ج ١ ص ٩٩.

(٨٦) قرم العود: أعواده أو قطعة منه. انظر: ابن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ١٥٧، حاشية ١ (٨٧) ضمخ: الضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنما يفطر. انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٢٦٠٥.

(٨٨) هنابات: لم أقف على معناها، وأظنها الروائح العطرية أو ما يحمل فيها.

(٨٩) السكرجة، والسكريج: إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٢٠٤٩.

(٩٠) شافع العسقلاني المصري، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طبعة المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ١٩٩٨، ص ٢٦ – ٢٨.

(٩١) ابن شداد، المصدر سابق، ص ١٦٦ – ١٦٧.

(٩٢) ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦، ج ٢ ص ٢٢١.

(٩٣) الصيرفي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٠٩.

(٩٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٦ ص ٣٠٣، ٣٠٥ – ٣٠٦؛ ابن طولون، رسائله، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث، رقم ١٣١٦، ورقة ٩٦.

(٩٥) أمير آخور: يتحدث عن إسطبل السلطان أو الأمير، يتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الإسطبلات. أنظر: القلشندي، المصدر السابق، ج ٥ ٤٦١.

(٩٦) المقريزي السلوك، مصدر سابق، ج ٣ ص ٩١١.

(٩٧) المصدر السابق، ج ٣ ص ٩١٢.

(٩٨) خوند: لفظ فارسي استعمل في مخاطبة النساء بمعنى السيدة أو الأميرة، وساقي خوند أظنه هو من يتولى مهمة السقاية لهن. انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج ٦ ص ١٧١.

(٩٩) الصيرفي،المصدر السابق، ج ٣ ص ٦٣.

(١٠٠) المقريزي، السلوك، ج ٣ ص ٩٠٢.

(١٠١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٧٨ – ٧٩؛ المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ٤٨٧ – ٤٨٩.

(١٠٢) الصيرفي، إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق وتقديم حسن حبشي، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٠، ص ٧.

(١٠٣) المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ٣ ص ٤٣٦.

(١٠٤) الصيرفي، إنباء الهصر بأنباء العصر، مصدر سابق، ص ٢١٣.

(١٠٥) الجوارش: جرش الشيء إذا لم تنعم دقه، فهو جريش، والجوارش نوع من الحلويات يصنع من السكر، وهي كلمة فارسية، جاء عند الجاحظ: " أنهم أكلوا كل جوارش كان عندي "، وفي النهاية لابن الأثير: " أهدى رجل من العراق إلى ابن عمر جوارشن ". أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٥٩٩؛ سعدي ضناوي، المعجم المفصل في المعرب والدخيل، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤، ج ١ ص ١٣٣؛ سعيد الخوري الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، طبع مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٢، ج ١ ص ٤٢١.

(١٠٦) المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٢٩.

(١٠٧) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ١٣٤.

(١٠٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج ١٥ ص ٢٦٣؛ المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ١٠٩٠.

(١٠٩) النواتية: أظن أن مفردها النوتي، وتجمع كما في اللسان النواتي وهم الملاحون في البحر. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ص ٤٥٧٠.

(١١٠) الشرابدارية: هم المسئولون عما في الشراب خاناه التي تحتوي على أدوات الشراب النفيسة من أنواع الصيني الفاخرة والشوك والكيزان والطاسات النحاسية وغير ذلك، كما تشتمل على أنواع المشروبات والحلوى والسكر والفواكه والعطيريات وحتى الأدوية والعقاقير. أنظر: القلقشندي، المصدر السابق ج ٣ ص ٤٧٢ و ج ٤ ص ١٠، ٢١ و ج ٥ ص ٤٦٩.

(١١١) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٥ ص ٢٤ – ٢٥.

(١١٢) المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٣١.

(١١٣) المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج ٤ ص ٢٧١.

(١١٤) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٥٦، المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢١٠.

(١١٥) المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢١٠.

(١١٦) ابن شاهين، نيل الأمل في ذيل الدول، مصدر سابق، ج ١ ق ١ ص ١٩١.

(١١٧) المصدر السابق، ج ١ ق ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١.